الفاصلة القرآنية

(دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث)

د. محمد سعد محمد السيد
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية الآداب – جامعة بور سعيد

— (المقدمة) —

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين -سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فما زال القرآن الكريم نبعاً فياضاً ومورداً ثرّاً، لا تبلى عجائبه ولا تخلق على الأيام بدائعه، ولا ينضب غور أسراره مهما كشف عنه الباحثون ومتح منه الناهلون . والفاصلة في القرآن الكريم من عظيم آياته وبديع إعجازه ، ومن ثم رأيت أن أتناول جانباً من جوانبها بالدرس والتحليل ، وهو الجانب الصوتي بما فيه من تناسق وتناغم إيقاعي شهد به عتاة كفار قريش .

وتجدر الإشارة إلى أن الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن سر جمال الإيقاع في الفاصلة القرآنية كشفاً علمياً يبرر السبب الذي جعلها تبزّ نظيرتيها في النثر والشعر ، فروعة الإيقاع وجمال التناسق الموسيقي أمور ثابتة لا محالة، سواء أثبتتها هذه الدراسة أو غيرها أم عجزت عن إثباتها، ولكن يبقى الوقوف على مصدر هذه الروعة من خلال تحديد أنماط الفاصلة وصورها وأنساق تتابعها ، على غرار ما قام به العروضيون من تقنين القافية وتحديد أنماطها ، وتفصيل أجزائها . وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة ، وذلك من خلال رصد أنماط الفاصلة في جداول إحصائية ، ثم تحليل نتائج هذه الإحصاءات .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

مفهوم الفاصلة القرآنية :

يعرفها البعض بأنها " كلمة آخر الآية "[1] ، ويعرفها آخرون بأنها " تقوم في الآية مقام القافية في نهاية البيت ، أو السجعة في نهاية الجملة في النثر المسجوع "[2]. والحق إن كلمة (مقام) في التعريف الثاني تحتمل معنيين :

الأول أن تكون اسم مكان، فتكون الفاصلة على ذلك واقعة في نهاية الآية كما هو حال القافية من البيت والسجعة من الجملة ، سواء وقع بينها وبين سابقتها أو لاحقتها توافق صوتي إيقاعي أم لا .

والثاني أن تكون مصدراً ميمياً، فتكون الفاصلة بذلك قائمة بوظيفة القافية والسجعة، ومن ثم يشترط فيها التوافق الصوتي مع سوابقها ولواحقها، فما لم يقع فيه هذا التوافق خرج عن حد الفاصلة .

ويبدو أن المعنى الثاني هو المقصود ، بدليل أن الدكتور شوقي ضيف – وهو صاحب هذا التعريف – قد قسم الفواصل إلى مسجوع وغير مسجوع ، وجعل آي الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم من النوع الأول ، وما عداهما من الثاني [٣] ، وإن كان هذا التحديد يحتاج إلى مزيد تدقيق ؛ لأن المناسبة الصوتية في فواصل معظم السور في غير هذين الجزأين واضحة لا تُنكر[٤].

ولا يعني وقوع الفاصلة موقع القافية من البيت أو السجعة من الجملة أن تكون الفاصلة مساوية بالضرورة للقافية أو السجعة في الكم الصوتي ، ومن ثم اكتفى التعريف الأول بأنْ حدّها " بكلمة آخر الآية "، وهو ما انتهجه علماء القراءات حين مثّلوا للفواصل بالكلمات، وقد ارتضى الباحث هذا التعريف في دراسته هذه . فالفاصلة كلمة آخر الآية وقع بينها وبين أخواتها توافق صوتي أو لم يقع ، وهو ما يتفق مع ما رجحناه من معنى التعريف الثاني .

وقد أطلق بعض القدماء على الفواصل رءوس الآي ، بيد أن أبا عمرو الداني قد فرّق بين الفاصلة ورأس الآية ، فقال : " أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ... ... فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية " [٥] .

وقد سميت خواتيم الآي فواصل لقوله تعالى : " كتاب فصلت آياته " [٦] ، ولأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها. فليس لنا أن نتجاوز ذلك إلى تسميتها بالأسجاع [٧] تأدباً ، ولتنزيه القرآن عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس ، فضلاً عن تنزيهه عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم [٨]. كما لا يجوز تسميتها بالقوافي؛ لأنه مصطلح خاص بالشعر ليس غير ، فلما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلبه القافية ، كما سلب أواخر أبيات الشعر مصطلح الفاصلة ؛ لأنه خاص بالقرآن الكريم [٩] .

فضل الفاصلة على السجع والقافية :

وقد اختصت رءوس الآي في القرآن الكريم بمصطلح الفاصلة دون السجع أو القافية ؛ وذلك لما لها – فضلاً عما سبق – من مزية ترجع إلى أمرين :

أما أولهما فلأن السجع أو القافية يتطلبان تطابقاً تاماً في عدد الأصوات (حروف وحركات) ، أما الفاصلة فتجري في تدفق سلس وقد لا تلتزم تطابقاً تاماً ؛ بغية التغاير والتجدد، ودفعاً للملل والرتابة، وحفزاً للقارئ على الانتباه وحسن التأمل ، وقد لا يتكرر النمط الصوتي للفاصلة ، ولكنها تحتفظ غالباً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة .

وأما الثاني فيرجع إلى الوظيفة الدلالية التي تؤديها ، فإن الفاصلة تأتي مستقرة في مكانها لا مجرد عنصر صوتي محسّن كالسجع أو القافية ، وقد يتعدد النسق الصوتي للفواصل في السورة الواحدة تبعاً للمعاني المقصودة .

ومن ثم فإن السجع والقافية يقصدان – غالباً – لذاتهما ، ثم تحال المعاني عليهما ، بمعنى أنهما يقودان المعنى ، وقد يؤدي ذلك إلى شيء من التكلف ، أما الفاصلة فإنها تتبع المعاني ولا تكون مقصودة لذاتها ، فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية ، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره أو حذفه ، وذلك ليس للتناغم الصوتي فحسب بل رعاية للمعنى أيضاً ، وهذا هو الإعجاز [١٠] .

وعلى الرغم من اختلاف الفاصلة عن السجع إلا أن ما قالوه في أنواع السجع ينطبق على الفاصلة تماماً ، وعندما مثّلوا لأنواع السجع جعل بعضهم أمثلته من الفواصل القرآنية ، قال السكاكي : " ومن جهات الحسن الأسجاع : وهي في النثر كما في القوافي في الشعر ، ومن جهاته الفواصل القرآنية ، والكلام في ذلك ظاهر " [١١] . وتتلخص أنواع السجع فيما يلي [١٢] :

أولاً – من حيث اتفاق الوزن والحرف :

١. المتوازي : وهو ما اتفق فيه الحرف والوزن، كقوله تعالى : " فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة " [١٣] .

وهارون " [٤٤] ، فتأخر ذكر هارون لما كانت مع فواصل منتهية بمقطع طويل مختتم بالنون ، هذا مع ما في التباين والتنوع من دلالات وإيحاءات بلاغية ، وذكر الباقلاني أن المجيء بقصة واحدة بألفاظ مختلفة من الأمور التي أظهرت عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكرراً [٤٥] .

٣. قول الله تعالى : " وكذبوا بآياتنا كذّاباً " [٤٦] ، والكِذّاب لغة يمانية في التكذيب ، يقال : كذّبتُ به كِذّاباً ، وخرّقتُ القميص خِرّاقاً ، وكل (فِعّال) فمصدره (فَعّال) على لغتهم [٤٧] ، فعدل عن لغة قريش إلى غيرها لتتفق الفاصلة مع ما قبلها وما بعدها في الانتهاء بمقطعين متوسطين مفتوحين مختتمين بالفتحة الطويلة .

٤. قوله تعالى: " والليل إذا يسر " [٤٨] بحذف ياء الفعل لغير جزم، لوقوعها بين فواصل منتهية بالراء ، ومثل ذلك قوله تعالى : " وثمود الذين جابوا الصخر بالواد " [٤٩] لموافقة رءوس الآيات المنتهية بالدال . وقريب من هذا حذف ياء المتكلم في قول الله تعالى : " الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين " [٥٠] ، وذلك لموافقة رءوس الآي المنتهية بالنون .

٥. قوله تعالى : " كذبت ثمود بطغواها " [٥١] ، قال الفراء : " أراد طغيانها إلا أن الطغوى أشكل برءوس الآيات فاختير لذلك " [٥٢] .

٦. قوله تعالى: " فأوجس في نفسه خيفة موسى " [٥٣]، أخّر الفاعل ولم تراع رتبته مراعاة للفاصلة ، وإن كان هذا سائغاً نحوياً ، مع ما يحمله هذا التركيب من دلالة بلاغية [٥٤].

٧. قوله تعالى: " وتظنون بالله الظنونا " ، و" وأطعنا الرسولا " ، و" أضلونا السبيلا " [٥٥] ، بإطالة الفتحة القصيرة وقفاً ؛ لما كانت فواصل السورة منتهية بمقطع متوسط مفتوح منته بفتحة طويلة [٥٦] .

٨. قد يتسامح في شروط الإمالة فيميلون ما كان أصله واوياً مراعاة للفاصلة قال الفراء: " قول الله تعالى: " والشمس وضحاها " [٥٧] نهاره ، وكذلك : " والضحى " [٥٨] هو النهار، كله بالكسر (الإمالة) ، الضحى من ضحاها وكل الآيات التي تشاكلها وإن كان أصل بعضها

بالواو ، من ذلك : تلاها وطحاها ودحاها ، لما ابتدئت السورة بحروف الباء والكسر اتبعها ما هو من الواو ، ولو كان الابتداء للواو لجاز فتح ذلك كله " [٥٩] ، ومراعاة الفاصلة في هذا الموضع هي مراعاة للفظ فقط دون المعنى ؛ لأن المعنى لا يتغير مطلقاً بإمالة أو فتح ، إنما هي صورة نطقية .

الفاصلة وإطراد الإيقاع :

وإذا كانت مراعاة الفاصلة على ما ذُكر من علو شأن وارتفاع قدر فلماذا لم تراع في القرآن كله ؟ يقول صاحب الطراز رداً على هذا : " وإنما ورد على الأمرين جميعاً لأمرين ، أما أولاً فلأن القرآن إنما جاء مؤذناً بالإيجاز وبلوغ الغاية في الاختصار ، فلو أتى مسجوعاً لأبطل إيجازه واختصاره؛ لأن السجع إذا كان ملتزماً في كل المواضع فقد لا يتواتى الإيجاز معه والاختصار ، فلهذا كان على الأمرين جميعاً . وأما ثانياً فلأن الكلام الممسَّجع أفصح وأبلغ من غير الممسَّجع فإتيان ما ليس مسجوعاً في القرآن الكريم يؤذن – مع كونه غير مسجوع – أنه في غاية الإعجاز مع عدم السجع ، وفي هذه دلالة على إعجازه من كل الوجوه " [٦٠] .

هذا فضلاً عن كون فصيح الكلام لا يكون كله مسجوعاً ؛ وذلك نظراً لما قد يبدو فيه من أمارات التكلف والاستكراه لاسيما فيما يطول من الكلام. فنغم القرآن متوازن الإيقاع ومتجدد في آن ؛ نظراً لتنوع الفواصل أو المسافات بينها [٦١] .

كما أن الإيقاع الغني الذي يقوم على النسق المنتظم المنضبط دون أية شائبة يغلب على أثره في النفس أن يكون حسياً، وتتضاءل الآثار الفكرية أمام هذا الأثر الحسي، فهو أشبه بدقات الساعة أو حركات البندول، والرتوب الذي يحدثه التكرار المنتظم يؤدي إلى ما يشبه الخدر ، والفنون التعبيرية عادة ما تحاكي الحياة الإنسانية ، وهي ليست انتظاماً خالصاً بل تجمع بين الانتظام والاضطراب ، فالخروج على النسق له وظائف في الشعر وفي غيره من الفنون فهو يقاوم ذلك الخدر الناشئ من التكرار المنتظم فيثير الانتباه ويدعم الجانب الفكري في مواجهة الجانب الحسي [٦٢] ؛ ولذا كان رأي عالم الجمال (هوجارت) أن القاعدة الثابتة في الفن هي تحاشي الانتظام التام [٦٣] .

عوامل التأثير في إيقاع الفاصلة وموسيقاها :

وانتظام الإيقاع في الفاصلة القرآنية والتناغم الصوتي فيها يعزى إلى عدة أمور ، لعل من أهمها :

أولاً – اتفاق الصوت الأخير في الفواصل المتتابعة :

قد تتوافق الفواصل في الصوت الأخير منها في السورة الواحدة ، وقد يكون هذا التوافق توافق مماثلة أو توافق مشابهة .

أما توافق المماثلة فهو أن يُلتزم في نهاية فواصل السورة الواحدة صوتاً واحداً يتكرر ، ومثاله سورة القمر ، فإن عدد آيها (٥٥) كلها منتهية بالراء ، وسورة المنافقون عدد آياتها (١١) كلها منتهية بالنون، وكما في بعض قصار السور ، كالأعلى، والشمس، والبينة، والعصر ، والهمزة، والفيل، والكوثر، والإخلاص، والناس . وقد يكون توافق المماثلة سائداً وليس ملتزماً فيتخلف التطابق التام في موضع واحد من السورة ، كما في سورة الفرقان فإن منها (٧٦) آية منتهية بالألف وآية واحدة منتهية باللام ، أو في موضعين كما في سورة محمد ففيها (٣٦) آية منتهية بالميم ، وآيتان منتهيتان بالألف .

ويحدد الصوت الأخير في الفاصلة على أساس الوقف لا الوصل ، فالآية المنتهية بتاء تأنيث في نهاية الفاصلة تعد هاء ؛ لأن الوقف عليها بالهاء ، ولا التفات إلى نطقها تاء وصلاً . ولا التفات أيضاً إلى الصوائت القصار التي تلحق خواتيم الآي ؛ فالوقف لا يكون إلا بالتسكين .

أما ما انتهى من الفواصل بصائت طويل فعلى عكس ذلك ؛ لأن الصائت الطويل ينطق وقفاً ، وأثره السمعي واضح ، بل إن له أثراً تطريبياً ظاهراً بما فيه من امتداد أثره وبما في الصوائت بوجه عام من وضوح سمعي .

فكل فاصلة انتهت بفتحة طويلة فمحدودة في صوت الألف ، سواء أكانت منقلبة عن أصل ، نحو : الضحى والنهى واستعلى وأنثى ، أو لحقت الاسم الأعجمي ، نحو: موسى وعيسى ، أو كانت للتأنيث ، نحو : الكبرى والعليا ، أو كانت عوضاً عن تنوين ، نحو : سميعا وبصيرا ، أو ناشئة عن إطالة الصائت القصير لمراعاة الفاصلة ، نحو : السبيلا والظنونا [١٤] .

وكل فاصلة انتهت بكسرة طويلة فمعدودة في صوت الياء الصائتة [٦٥] ، وذلك نحو : " صدري ... أمري ، لحياتي " [٦٦] . وكل فاصلة انتهت بضمة طويلة فمعدودة في صوت الواو، وهي : (تعولوا ، وضلوا ، فاعبدوا) [٦٧] .

وقد ذهب بعض المحدثين ممن تناول الفاصلة القرآنية إلى عدم الاعتداد بالصوائت الطوال نهايات للفواصل ، وإنما اعتدّوا بالصوامت فقط ، فما انتهى بصائت طويل فمعدود حسب ما قبله، فكلمة (الضحى) من باب الحاء ، و(موسى) من السين، و(اعبدوا) من الدال، و(أخي) من الخاء وهكذا [٦٨]. فكان تصنيفهم للفواصل بحسب الصوت الأخير المعتبر عندهم كما يلي

الصوت	عدد التكرارات	الصوت	عدد التكرارات
ء	١٨	ب	٢٢٣
ت	٥٢	ث	١٠
ج	٢١	ح	١٢
خ	١	د	٣٣٠
ذ	٢	ر	٧٤٩
ز	٢١	س	٣٥
ش	١٣	ص	١٠
ض	٩	ط	٢١
ظ	١٩	ع	٤٣
غ	٩	ف	٢٥
ق	٨٠	ك	١٦
ل	٢٤٩	م	٧٨٨
ن	٣١٦٩	هـ	٢١٢
و	٢٧	ي	٧٢

وليس الأمر كما ذهبوا ، وذلك لإن للصوائت الطوال أثر سمعي واضح في الفاصلة كما أسلفنا ، والدليل على ذلك من سورة (طه) ، فلا أحد ينكر ما في فواصلها من توافق إيقاعي وتناسق موسيقي فريد ، ولاشك أن بعض ذلك يرجع إلى أن جل فواصلها منتهية بالصائت الطويل لاسيما الألف (١١٢ آية منتهية بالألف من أصل ١٣٥) ، أما إذا اعتبرت الصوامت وأهملت الصوائت الطوال التي تليها فسنجد أن السورة منتهية بواحد وعشرين صامتاً هي :

الصامت	العدد	الصامت	العدد	الصامت	العدد
ب	٢	ت	٤	ح	٤
خ	١	د	٩	ر	٢٥
ز	١	س	١٨	ش	٣
ض	٢	ع	٤	غ	٣
ف	٤	ق	٩	ك	١
ل	١٦	م	١٠	ن	٣
هـ	٣	و*	٨	ي*	٥

* الواو والياء هنا أنصاف صوائت .

وبالنظر في تتابع الصوامت في السورة فإننا لا نجد أي تناسق ينتظمها ، خذ مثلاً الآيات العشر الأولى فقد جاء ترتيب الصوامت في نهاية فواصلها على النحو التالي :

الآية	الفاصلة	الصامت
الأولى	طه	هـ
الثانية	لتشقى	ق
الثالثة	يخشى	ش
الرابعة	العلى	ل
الخامسة	استوى	و
السادسة	الثرى	ر
السابعة	وأخفى	ف
الثامنة	الحسنى	ن
التاسعة	موسى	س
العاشرة	هدى	د

وعلى ذلك ، فلا هذا التباين الشديد بين الصوامت ولا هذا الترتيب الذي لا انتظام فيه قد أدى إلى هذا التوافق الصوتي البديع وتناسق النغم المعجز في فواصل تلك السورة العظيمة ، فظهر من هذا أن الأثر الأعظم في هذه الفواصل العشر إنما هو للصائت الطويل (الألف) لا للصوامت قبله ، ومن ثم فإنه متى ختمت الآيات بصوائت طوال كان المعول عليها في الموسيقى .

وعليه فإن التصنيف الصحيح للفواصل بحسب أصوات نهاياتها هو :

الصوت	عدد التكرارات	الصوت	عدد التكرارات
ء	١٠	ب	١٦٢
ت	٣٤	ث	١
ج	٩	ح	١
خ	-	د	٢٠٠
ذ	٢	ر	٤٥١
ز	١٠	س	١٠
ش	٢	ص	٨
ض	١	ط	١٢
ظ	١٣	ع	١٣
غ	-	ف	٤
ق	٤٠	ك	٨
ل	٦٧	م	٦٦٣
ن	٣١٢٧	هـ	١٧٠
و	-	ي	٣
ألف	١١٨٩	و صائتة	٣
ي صائتة	٦٣		

هذا وقد فرّق بعض المحدثين [٦٩] بين ما انتهى من الفواصل بألف لينة منقلبة عن أصل نحو : (الضحى ، النهى ، أتى ، استعلى) وبين غيرها ، نحو: (موسى ، الدنيا ، سميعا ، السبيلا) ، فجعلوا النوع الأول منتهياً بالألف ، وعدوا الثاني منتهياً بالصامت الذي يسبق الألف . وهذا تفريق كما يبدو لا مبرر له ؛ لأنه لا فرق من الناحية الصوتية المحضة بين الألف المنقلبة عن أصل وغيرها ، فكلها يمثل صائتاً طويلاً هو الألف [٧٠] ، والغريب أن هؤلاء لا يفرقون بين الياء الصائتة ونصف الصائتة في نهاية الفواصل، ويجعلونهما في عدٍّ واحد ، مع أن الفرق بين الياءين من الناحية الصوتية والأثر السمعي واضح لا ينكر .

أما توافق المشابهة فهو أن تختتم فواصل السورة الواحدة بعدة أصوات يربطها رابط من صفة أو مخرج أو كليهما ، ومن ذلك :

الميم والنون وما قاربهما :

فالميم والنون يتعاقبان في نهاية كثير من فواصل الآي ، فهما أنفيان ، حيث ينخفض عند النطق بهما الحنك اللين ليتمكن الهواء المنحبس في الفم من النفاذ عن طريق الأنف مصحوباً بغنة ميزتهما عن غيرهما من الأصوات وجعلتهما متفردين بالنصيب الأكبر من نهايات الفواصل القرآنية ، هذا فضلاً عن اتفاقهما في الصفات كلها ، فكلاهما مجهور مستفل منفتح ذلق أهن متوسط بين الشدة والرخاوة ، وسبب هذا التوسط يرجع إلى الوضوح السمعي الظاهر في نطقهما، فهما يشبهان الحركات في هذا الوضوح ؛ فالهواء يخرج معهما حراً طليقاً دون توقف أو حدوث احتكاك ملموس ؛ ولذا أطلق عليهما المحدثون أشباه الحركات، والمقصود أنها أصوات متوسطة بين الصامتة بعامة والحركات لا بين الشديدة والرخوة [٧١] . وهذا الوضوح السمعي أيضاً يعد من أسباب استقلالهما بالنصيب الأوفى من نهايات الفواصل . أما الخلاف بينهما فيرجع إلى المخرج ، فالنون لثوية والميم شفوية .

ولأجل هذا التناغم بين النون والميم فقد اجتمعتا وتعاقبتا منفردتين في سور كثيرة ، كما هو ظاهر في الجدول التالي :

السورة	عدد آياتها	تكرار النون	تكرار الميم
الأنبياء	١١٢	١٠٦	٦
المؤمنون	١١٨	١١٤	٤
النمل	٩٣	٨٤	٩
يس	٨٣	٧١	١٢
الدخان	٥٩	٤٤	١٥
الجاثية	٣٧	٣٠	٧
الجمعة	١١	٨	٣
القلم	٥٢	٤٢	١٠
المطففين	٣٦	٢٧	٩
الماعون	٧	٦	١

ويلاحظ هنا غلبة النون على الميم بشكل ملحوظ ، ويبدو أن السبب في ذلك أن للنون شبهاً قوياً بحروف اللين ؛ " لأشياء ، منها أن الغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين ، ومنها اجتماعها في الزيادة معهن ومعاقبتها لهن في الموضع الواحد في المثال الواحد نحو : شَرَنْبَث وشُرابث ... ، وحذفوها أيضاً لالتقاء الساكنين في نحو: لم الأن ، ولاك اسقني، لم يكُ الحق، كما حذفوهن لذلك في نحو: غزا القومُ، وتعطي ابنك، وتصبو المرأة "[٣١].

هذا فضلاً عن خفتها عن بقية أخواتها ، ومن أجل هذه الخفة ألحقوها بالأسماء المتمكنة فيما أسموه بتنوين التمكين ، وترنموا بها في أشعارهم فيما أسموه بتنوين الترنم ، ولأجل خفتها أيضاً تأثرت – حال سكونها – بجاراتها من الصوامت ، فقلبت ميماً مع الباء ، وأدغمت في الميم واللام والراء والواو والياء ، وأخفيت في أربعة عشر صوتاً صامتاً [٣٢] .

ومن ثم نجد أن النون قد استأثرت بسورة كاملة في القرآن الكريم وهي سورة المنافقون (١١ آية) ، كما أن السور الطوال غلب عليها النون بشكل لافت ، والجدول التالي يوضح ذلك :

السورة	آياتها	النون	الميم	غيرهما
البقرة	٢٨٦	١٩٥	٥٢	٣٩
آل عمران	٢٠٠	١٢٠	٣٠	٥٠
المائدة	١٢٠	٨٠	٢٤	١٦
الأنعام	١٦٥	١٤٤	١٣	٨
الأعراف	٢٠٦	١٩٣	١٠	٣
الأنفال	٧٥	٣٩	١٩	١٧
التوبة	١٢٩	٨٦	٣٧	٦
يونس	١٠٩	٩٨	١٠	١
المجموع	١٢٩٠	٩٥٥	١٩٥	١٤٠
النسبة	%١٠٠	%٧٤.٠٣٢	%١٥.١١٦	%١٠.٨٥٢

كما يلاحظ تفرد بعض السور بالنون والميم مضافاً إليهما صوت آخر يشارك النون في المخرج وفي جل الصفات ليس منها الغنة ، وهما الراء واللام فإن الراء مكررة واللام جانبية ، ولا شك أن هناك رابطاً يربط هذه الأصوات الأربعة " فهناك شواهد في التراث الصوتي تدل على خصوصية هذه الأربعة (ر ل م ن) ، من ذلك مثلاً ما يراه الدكتور أنيس من أن هذه الأصوات أكثر الأصوات توظيفاً في الروي، واختيار هذه الأصوات في الروي دليل امتيازها بقوة الإسماع الذي يزيد من روعة موسيقى الشعر ونغمات الإنشاد . ومنها كذلك أنها (مع الفاء والباء) تقوم بتشكيل نمط خاص من الأصوات عرف بأصوات الذلاقة ، التي تتميز بسهولة النطق وخفته ، كما تتميز بكثرة التوظيف في اللغة " [٧٤] .

فمما اجتمع فيه النون والميم والراء :

السورة	آياتها	النون	الميم	الراء
النحل	١٢٨	١١٠	١٦	٢
العنكبوت	٦٩	٥٩	٧	٣
الروم	٦٠	٥٤	٤	٢
الأحقاف	٣٥	٢٦	٨	١
الحجرات	١٨	١٠	٧	١
الرحمن	٧٨	٦٩	٧	٢
المجموع	٣٨٨	٣٢٨	٤٩	١١
النسبة	%١٠٠	%٨٤.٥٣٦	%١٢.٦٢٩	%٢.٨٣٥

وما اجتمع فيه النون والميم واللام :

السورة	آياتها	النون	الميم	اللام
الحجر	٩٩	٨١	١٦	٢
يونس	١٠٩	٩٨	١٠	١
الشعراء	٢٢٧	١٩٣	٣٠	٤
السجدة	٣٠	٢٧	٢	١
الزخرف	٨٩	٧٩	٩	١
المجموع	٥٥٤	٤٧٨	٦٧	٩
النسبة	%١٠٠	%٨٦.٢٨٢	%١٢.٠٩٣	%١.٦٢٥

وما اجتمع فيه النون والميم والراء واللام :

السورة	آياتها	النون	الميم	الراء	اللام
يوسف	١١١	٩٣	١٥	٢	١
القصص	٨٨	٨١	٣	٢	٢
المجموع	١٩٩	١٧٤	١٨	٤	٣
النسبة	%١٠٠	%٨٧.٤٣٧	%٩.٠٤٥	%٢.٠١٠	%١.٥٠٨

ويلاحظ تدني نسبة الراء واللام مقارنة بالنون والميم مع اشتراكهما في جل الصفات ومع النون خاصة في المخرج ؛ لفقدهما-صفة الغنة . وهذا لا يمنع من مجيء الراء مثلاً في سورة أكثر من الميم ، كما في سورة هود [٧٥] ، أو مجيئها أكثر من النون والميم كما في سورة الحج [٧٦] . أو مجيئها غالبة كما في سورتي فاطر [٧٧] والملك [٧٨] .

ومع هذا فقد خلت بعض السور من النون والميم ، مثل سورة ق والنجم والقمر والبروج ، كما خلت سورتا الرعد والجن من الميم ، وخلت سورتا محمد والنازعات من النون .

حروف القلقلة (ق ط ب ج د) :

وتتفق في صفة الانفجارية الواضحة الناجمة عن صفة القلقلة ، وقد استغرقت فواصل بعض السور القصار، مثل : (المسد والإخلاص والفلق) ، وغلبت على أخرى ، مثل : (ق والبروج) ، وكثرت في أخرى ، مثل : (الرعد وص) ، وذلك على النحو التالي :

السورة	الآيات	ق	ط	ب	ج	د	غيرها
الرعد	٤٣	٣	–	١٥	–	٤	٢١
ص	٨٨	٦	١	٣٥	١	٦	٣٩
ق	٤٥	–	١	٧	٥	٢٧	٥
البروج	٢٢	١	١	١	١	١٦	٢
المسد	٥	–	–	٤	–	١	–
الإخلاص	٤	–	–	–	–	٤	–
الفلق	٥	٢-	–	١	–	٢	–
المجموع	٢١٢	١٢	٣	٦٣	٧	٦٠	٦٧
النسبة	١٠٠	٥.٦٦	١.٤٢	٢٩.٧٢	٣.٣	٢٨.٣	٣١.٦
	%	%	%	%	%	%	%

الصوائت الطوال وأنصافها :

وسورة طه تعد خير مثال لاجتماع الصوائت وأنصاف الصوائت في سورة واحدة ، فقد ختمت آياتها بثلاث ياءات أنصاف صوائت ، في كلمة : سامريّ ، وصامت واحد هو الميم في (ما غشيهم) ، وبقية آيها صوائت :

(و) في آية واحدة ، (ي) ١٨ مرة ، (ألف) ١١٢ مرة .

وقد غلبت الصوائت في نهايات بعض السور على اختلاف أطوالها غير سورة طه ، وذلك على النحو التالي :

السورة	آياتها	الألف	ي صائتة	و صائتة	صوامت
النساء	١٧٦	١٦٨	–	١	٧
النجم	٦٢	٥٦	–	١	٥
الضحى	١١	٨	–	–	٣

كما انفردت الألف بنهايات بعض السور القصار ، كالأعلى (١٩ آية) والشمس (١٥ آية) والليل (٢١ آية) .

ولعل سبب كثرة انتهاء الآيات بالصوائت أنها " تتميز بقوة الوضوح السمعي إذا قيست بمجمل الأصوات الأخرى ، فهي تحمل الآثار الموسيقية للنبر ودرجة الصوت ، وهي أكثر الأصوات موسيقية أو قبولاً للغناء لإمكانية تطويلها على وجه يطرب السمع ، ونقول مجمل الأصوات لأن هناك أصواتاً صامتة ذات وضوح سمعي ظاهر كالميم والنون واللام في العربية " [٧٩] .

أما غلبة الألف على نظيرتيها الصائتتين في نهاية الآيات [٨٠] ؛ فلأنها أخف منهما على اللسان ، وبذلك شهد القدماء والمحدثون [٨١] .

ولأن الأصوات المهموسة أقل وضوحاً من نظيرتها المجهورة فقد تدنت نسبة ورودها في ختام الفواصل بشكل ملحوظ ، وهي (ت ، ث ، ح ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك) ، وقد وردت (١٢٠) مرة بنسبة (١.٩٢%) ، في حين لم ترد الخاء – وهي مهموسة – ختام الفاصلة قط .

وعلى الجملة نقول : إذا تساوى صامت وصائت في الطول والارتكاز ، وكان التفخيم فيهما مستوياً فإن الصائت يكون أشد وضوحاً ، وأن الصوائت المنفتحة (الفتحة الطويلة والقصيرة) تكون أشد وضوحاً من الصوائت المضيقة (الضمة والكسرة والواو والياء) . وأن الصوامت المجهورة أشد وضوحاً من المهموسة، والنون والميم واللام أشد وضوحاً من سائر الصوامت المجهورة.

على أن هناك بعض السور قد غلب فيها صوت واحد غير ما ذُكر سلفاً ، مثال ذلك صوت الهاء الغالب في سورة الحاقة :

السورة	آياتها	/ هـ /	غيرها
الحاقة	٥٢	٣٢	(ن) ١٥ ، (م) ٤ ، (ل) ١ = ٢٠
النسبة	%١٠٠	%٦١.٥	%٣٨.٥

ومع هذا فهناك سور لم يظهر فيها توافق مماثلة أو مشابهة بين أصوات نهايات آياتها ، كما في سورتي إبراهيم والحج ، ويتضح ذلك فيما يلي : سورة إبراهيم وآياتها (٥٢) آية :

د	ر	م	ن	ء	ل	ب	ز	ص	ظ
١١	١١	٧	٦	٦	٤	٤	١	١	١

سورة الحج وآياتها (٧٨) آية :

	د	ن	م	ق	ب	ز	ء	ج	ط	ظ
٢٥	١٥	١٢	١٢	٦	٢	٢	١	١	١	١

ولا يعني عدم ظهور التوافق بين أصوات نهايات الفواصل افتقاداً للجمال الموسيقي والإيقاعي في الآيات ، فإن الفاصلة تحقق للنص جانباً جمالياً من جهة الإيقاع وتتابع المقاطع بما يعزز القيمة النغمية ، فضلاً عن تنوع موسيقى النص بما يصرفه عن الرتابة والإملال ، ولولا هذا الجمال الموسيقي والإيقاعي في النص القرآني الكريم عامة والفاصلة خاصة لما أمكن التجويد الذي لا يقوم بأكثر من إبراز وإشباع النغم القائم أصلاً .

والفاصلة تميل بوجه عام إلى الانتهاء بالأصوات الأخف نطقاً والأسهل على اللسان ما لم يكن ثم علة دلالية في خلاف ذلك ، ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي :

نوع صوت نهاية الفاصلة	العدد	النسبة
الصوائت	١٢١٥	%١٩.٥
الصوامت الذلقة	٤٤٧٤	%٧١.٧٥
الصوامت المصمتة	٥٤٧	%٨.٧٥
المجموع	٦٢٣٦	%١٠٠

وقد سبقت الإشارة إلى أن الصوائت أخف الأصوات مطلقاً، كما لا يخفى سهولة أصوات الذلق على اللسان كما ذكر الخليل فمن دونه من العلماء [٨٢] .

ثانياً – اتفاق نوع المقاطع في نهاية الفواصل :

إن المدخل الحقيقي إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع اللغوية العربية المختلفة الكميات وما يتصل بذلك من قواعد النثر في الكلام ، وقد أحس بهذا العروضيون حين أرادوا دراسة الإيقاع في الشعر فقسموا الكلام إلى أسباب وأوتاد وفواصل، وليس إلى مقاطع ، وإن كانت هذه الأسباب والأوتاد ما هي إلا مجموعة من المقاطع [٨٣] .

والمقاطع في اللغة العربية تنحصر في أنواع ستة ، هي :

١. القصير : (ص ح) [٨٤] ، مثل : مَ ، ذُ ، رِ .
٢. المتوسط المغلق (ص ح ص) ، مثل : قَدْ ، هل .
٣. المتوسط المفتوح : (ص ح ح) ، مثل : لا ، في .
٤. الطويل : (ص ح ح ص) ، مثل : ماءْ ، سوقْ ، مينْ .
٥. الزائد في الطول : (ص ح ص ص) ، مثل : قَلْبْ ، قَلّ .
٦. الطُوال : (ص ح ح ص ص) ، مثل : جانّ ، ضالّ .

وكل المقاطع السابقة يصلح أن تختتم به الفاصلة إلا المقطع القصير ، ومن أمثلة ذلك :

- " أضل أعمالهم " ، اختتمت بالمقطع (ص ح ص) .
- " وكان ربك بصيرا " : اختتمت بالمقطع (ص ح ح) .
- " قد أفلح المؤمنون " : اختتمت بالمقطع (ص ح ح ص) .
- " إلى ربك يومئذ المستقر " : اختتمت بالمقطع (ص ح ص ص) .
- " قبلهم ولا جانّ " : اختتمت بالمقطع (ص ح ح ص ص) .

وبغية الاختصار سأستخدم الأرقام رموزاً للمقاطع عوضاً عن رموزها الحرفية أو أسمائها فكل مقطع مما سبق سيُرمز له برقمه التسلسلي المدون أمامه ، مع إضافة (أ) أو (و) أو (ي) مع المقطع المتوسط المفتوح إشارة إلى نوع صائته ، وكذلك مع المقطع الطويل إشارة إلى صائت الوسط فيه ؛ ذلك بأن اختلاف الصائت الطويل في النوع الواحد من المقاطع يؤدي ضرورة إلى اختلاف موسيقى الفاصلة، وعليه تكون رموز المقاطع على النحو التالي:

- متوسط مختوم بالألف : (م١) ، ومثاله : (ما) في (عليها) .
- متوسط مختوم بكسرة طويلة : (م٣ي) ، ومثاله : (دي) في (موعدي) .
- متوسط مختوم بضمة طويلة : (م٣و) ، ومثاله : (دو) في (واعبدوا) .
- طويل وسطه ألف : (م٤أ) ، ومثاله : (رام) في (والإكرام) .
- طويل وسطه كسرة طويلة : (م٤ي) ، ومثاله : (رين) في (الكافرين) .
- طويل وسطه ضمة طويلة : (م٤و) ، ومثاله : (نون) في (مؤمنون) .

ومن ثم يكون التكوين المقطعي لكلمة مثل : (أعمالهم) على النحو التالي :

أع / ما / ل / هم

(ص ح ص) / (ص ح ح) / (ص ح) / (ص ح ص)

٢ + م١أ + ١ + ٢

وكلمة مثل : (مؤمنون) هكذا : مو / م / نون

(ص ح ص) / (ص ح) / (ص ح ح ص)

٢ + ١ + م٤و

وكلمة مثل : (قالوا) هكذا : قا / لو

(ص ح ح) / (ص ح ح)

م١أ + م٣و

وبالنظر في النظام المقطعي للفاصلة القرآنية نجد أنها سارت على أنماط متعددة ، فقد تختتم الفاصلة بمقطع زائد في الطول أو طويل أو متوسط (مفتوح أو مغلق) ، وتوزيعها في القرآن الكريم على النحو التالي :

المقطع	رمزه	تكراره	أشكاله
(ص ح ح ص)	٤	٤٥٦٥	٤أ = ٣٥٥
			٤و = ١٩٣١
			٤ي = ٢٢٧٩
(ص ح ح)	٣	١٢١٥	٣أ = ١١٨٩
			٣و = ٣
			٣ي = ٢٣
(ص ح ص)	٢	٤٠٨	
(ص ح ص ص)	٥	٤٥	
(ص ح ح ص ص)	٦	٣	

ونظراً لطول المقاطع (٤) و(٥) و(٦) فإن الإيقاع في الفاصلة المختتمة بواحدة منها يكون معتمداً على هذه المقاطع فقط دون النظر إلى ما قبلها ، ومن ثم فالفواصل المختتمة بأحد هذه المقاطع تعد نمطاً في ذاتها .

أما المختتمة بأحد المقطعين المتوسطين (٢ أو ٣) فالغالب [٨٥] أن الإيقاع يعتمد عليهما مع ما يسبقهما من مقاطع ليس منها المقطع (١) القصير ، فإن تصادف وجود مقاطع قصيرة قبل المقطع المتوسط الأخير كان الإيقاع معتمداً على آخر مقطعين متوسطين وما بينهما من مقاطع قصار .

والدليل على هذا أن العرب عندما طربت لجزء من الشعر (خلاف الوزن) وهو ما أسموه القافية حددوها بآخر ساكنين وما بينهما من متحركات مع أول متحرك قبلهما، وهو ما يعني آخر مقطع طويل أو زائد عنه، أو آخر مقطعين متوسطين وما بينهما من مقاطع قصيرة إن كان ثمة مقاطع قصيرة ، ونحن هنا نقف على الجزء نفسه من القرآن الذي وقف عنده العرب في أشعارهم ، وغالباً سنجد أنه هو نفسه الذي يعتمد عليه الإيقاع في الفواصل القرآنية.

ويمكن حصر أنماط الفاصلة القرآنية بحسب نوع المقاطع في خمسين صورة ، هي كالتالي :

م	النمط المقطعي	تكراره	المثال
١	أ٤	٣٥٥	النار ، السماء
٢	و٤	١٩٣١	يوقنون ، معلوم
٣	ي٤	٢٢٧٩	حكيم ، قدير
٤	٥	٤٥	المستقر ، بالصبر
٥	٦	٣	ولا جانّ
٦	٢ + أ٣	٣٥٥	سترا ، فرادا
٧	أ٣ + أ٣	١١٩	ضحاها ، سلاما
٨	و٣ + أ٣	١٣٢	نفورا ، معروفا
٩	ي٣ + أ٣	٤٠٩	حكيما ، فريقا
١٠	أ٣ + (١ + ٢)	٤١	مخرجا ، من طغى
١١	أ٣ + (١ + أ٣)	١٨	إذا هوى ، زلزالها
١٢	أ٣ + (١ + و٣)	٣	إنه طغى
١٣	أ٣ + (١ + ١ + ٢)	٣١	مرتفقا ، ربهم رشدا
١٤	أ٣ + (١ + ١ + أ٣)	١٧	آياتنا عجبا
١٥	أ٣ + (١ + ١ + و٣)	٧	لبثوا أمدا
١٦	أ٣ + (١ + ١ + ي٣)	١٢	غيبه أحدا
١٧	أ٣ + (١ + ١ + ١ + ٢)	١٢	البحر عجبا
١٨	أ٣ + (١ + ١ + ١ + أ٣)	١١	العذاب قبلا
١٩	أ٣ + (١ + ١ + ١ + ي٣)	٦	الحديث أسفا
٢٠	أ٣ + (١ + ١ + ١ + ١ + ٢)	١٣	قدر فهدى
٢١	أ٣ + (١ + ١ + ١ + ١ + أ٣)	١	طرائق قددا
٢٢	أ٣ + (١ + ١ + ١ + ١ + ١ + ٢)	٢	يتخذ ولدا
٢٣	٢ + و٣	١	ضلوا
٢٤	و٣ + و٣	١	تعولوا

٢٥	(٢ + ١) + ٣و	١	واعبدوا
٢٦	٢ + ٣ي	١٤	لذكري ، صدري
٢٧	٣أ + ٣ي	٤	التراقي ، لحياتي
٢٨	٣ي + ٣ي	١	دنني
٢٩	(٢ + ١) + ٣ي	٢	موعدي ، جنتي
٣٠	(٣أ + ١ + ١) + ٣ي	١	موسى قنعني
٣١	(٣و + ١ + ١) + ٣ي	١	هارون أخي
٣٢	٢ + ٢	٥١	فأنذر ، صدرك
٣٣	٣أ + ٢	٤٥	تفواهم ، والطارق
٣٤	٣و + ٢	٧	مرفوعة ، يولد
٣٥	٣ي + ٢	٥	كثيرة ، موازينه
٣٦	٤أ + ٢	٤	الحاقة ، الستاخة
٣٧	(٢ + ١) + ٢	١١٧	في الزبر ، أكرمن
٣٨	(٣أ + ١) + ٢	١١٢	أعمالهم ، وما ولد
٣٩	(٣و_+ ١) + ٢	٢	بره أحد ، الموؤدة
٤٠	(٣ي + ١) + ٢	٣	في سقر ، الذي خلق
٤١	(٢ + ١ + ١) + ٢	٢٤	مم خلق
٤٢	(٣أ + ١ + ١) + ٢	١٠	ثلاث شعب
٤٣	(٣ي + ١ + ١) + ٢	٨	سأصليه سقر
٤٤	(٢ + ١ + ١ + ١) + ٢	٦	تسعة عشر
٤٥	(٣أ + ١ + ١ + ١) + ٢	٩	ناصر لهم
٤٦	(٣و + ١ + ١ + ١) + ٢	١	الوحوش حشرت
٤٧	(٣أ + ١ + ١ + ١ + ١) + ٢	١	سؤاك فعدلك
٤٨	(٣و + ١ + ١ + ١ + ١) + ٢	١	الموءودة سئلت
٤٩	(٢ + ١ + ١ + ١ + ١ + ١)+ ٢	١	الصحف نشرت
٥٠	(٢ + ١+ ١+ ١+ ١+ ١+ ١)+ ٢	١	ثم عبس وبسر

من خلال الجدول السابق يمكن الوقوف على بعض الحقائق ، منها :

١. غلبة المقطع (٤) بأنواعه الثلاثة: (٤أ)، (٤و)، (٤ي) في نهاية الفواصل فقد تكرر (٤٥٦٥) مرة بنسبة (٧٣.٢%) من فواصل القرآن كله ، وهو وإن كان من المقاطع المغلقة إلا أن صائت الوسط فيه – بما له من إمكانية المد – يضفي عليه نوعاً من الإيقاع المتسق ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن معظم هذه المقاطع مختومة بصوتي النون والميم الأغنين بما فيهما من موسيقى بسبب تلك الغنة أدركنا السبب في الكثرة الغالبة لهذا المقطع في الفاصلة ، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي :

المقطع	تكراراته	مختوم بالميم	مختوم بالنون	مختوم بغيرهما
٤أ	٣٥٥	١٦	٦٥	٢٧٤
٤و	١٩٣١	٣٦	١٧٤٨	١٤٧
٤ي	٢٢٧٩	٥٦٤	١٣٠٣	٤١٢
المجموع	٤٥٦٥	٦١٦	٣١١٦	٨٣٣
النسبة	%١٠٠	%١٣.٤٩	%٦٨.٢٦	%١٨.٢٥

ويلاحظ غلبة صوت النون خاتماً لهذا المقطع ؛ فهو يمثل نسبة ٦٨.٢٦% منه ، بل إن صوت النون يكاد يكون مقصوراً على هذا المقطع ؛ فقد تكرر (٣١٢٧) مرة ، منها (٣١١٦) مع المقطع (٤)، و(١١) مع غيره [٨٦] .

كما يلاحظ تدني نسبة المقطع (٤و) المختوم بالميم مقارنة بنظيره (٤ي) المختوم بالميم أيضاً (٣٦ : ٥٦٤)، وعكسه في النون ، فمع النون تدنت نسبة المقطع (٤ي) مقارنة بنظيره (٤و) ، وبلغت (١٣٠٣ : ١٧٤٨) .

ويلاحظ تدني نسبة النون والميم كليهما مع المقطع (٤أ) ، فمع النون (٦٥ : ٣٥٥) ، ومع الميم (١٦ : ٣٥٥) ، ذلك بأن الألف أكثر وضوحاً في السمع من الواو والياء، ومن ثم لم يحتج

إلى صوت أغن معها يبرز موسيقى الفاصلة مثلما احتيج معهما ، فالوضوح السمعي أهم ما يميز الفاصلة .

وتجدر الإشارة إلى أن الواو والياء كثيراً ما يتناوبان وتقفو إحداهما الأخرى في فواصل السور ذات المقطع (٤) ، فتراه مرة (٤و) وأخرى (٤ي) ، ويتضح ذلك في معظم السور، ولاسيما الطوال منها ، على النحو التالى :

السورة	عدد الآيات	٤أ	٤و	٤ي
البقرة	٢٨٦	١٧	١٣١	١٣٨
آل عمران	٢٠٠	٣٦	٦٣	١٠٦
المائدة	١٢٠	٤	٤٤	٧٢
الأنعام	١٦٥	–	٩٠	٧٥
الأعراف	٢٠٦	١	٩٩	١٠٦
الأنفال	٧٥	٨	٢٦	٤١
التوبة	١٢٩	–	٥٥	٧٤
المجموع	١١٨١	٦١	٥٠٨	٦١٢
النسبة	%١٠٠	%٥.١٧	%٤٣.٠١	%٥١.٨٢

فتقارُب نسبتي (٤و) و(٤ي) يدل على تناوبهما دون (٤أ) .

وليس الأمر كذلك في السور التي كثر فيها المقطع (٤أ) ، ويمكن التأكد من ذلك بالرجوع إلى الجدول التالي :

السورة	تكرار المقطع (٤) فيها	٤أ	٤و	٤ي
الرعد	٤٣	٣٧	٦	--
ص	٨٧	٦٥	٦	١٦
الرحمن	٧٣	٧٢	١	--
المجموع	٢٠٣	١٧٤	١٣	١٦
النسبة	%١٠٠	%٨٥.٧	%٦.٤	%٧.٩

ولعل العرب قد أحست بهذا التشابه بين الصوائت القصيرة (و ، ي) من جهة ثم التباين بينهما وبين الألف من جهة أخرى ، فعاقبوا بين الواو والياء في الردف ، وهو الصائت الذي يقع قبل الروي مباشرة ، ولم يعاقبوا بينهما وبين الألف فيه ، من هذا مثلاً قول عبيد بن الأبرص :

أقفر من أهله ملحوبُ فالقُطَبِيّاتُ فالذنوبُ

فراكسٌ فثعيلباتٌ فذاتُ فرقين فالقليبُ

٢. أما الفواصل التي تعتمد في إيقاعها على المقطعين المتوسطين فإن الغالب طيها أن تنتهي بمقطع مفتوح دون المغلق؛ لأنه أخف على اللسان وأسهل في النطق فضلاً عن قيمته الموسيقية بما يحمله من المد، فهناك (١٢١٥) فاصلة ختمت بالمقطع (٣) ، في حين ختمت (٤٠٨) فاصلة بالمقطع (٢) بنسبة تقرب من (٣ : ١) . ويستنبط من هذا أن للمد في نهاية الفاصلة أثر موسيقي لا ينكر ، سواء أكان في المقطع (٣) أو (٤) أو (٦) ، ومن ثم تدنت نسبة المقاطع غير الممدودة (٢) و(٥) مقارنة بغيرها ، فبلغت (٤٥٣) [٨٧] فاصلة بنسبة (٧.٢٦%) من فواصل القرآن الكريم .

٣. ويلاحظ أنه كلما زاد عدد المقاطع المؤثرة في إيقاع الفاصلة قل عدد هذا النوع من الفواصل، فالفاصلة ذات المقطع الواحد، وهي (٤) و(٥) و(٦) تمثل (٤٦١٣) فاصلة ، في حين أن

الفاصلة ذات المقطعين المتوسطين اللذين يحصران أكبر عدد من المقاطع القصيرة [٨٨] ، هي أقل الفواصل وروداً في القرآن الكريم ، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي :

نوع الفاصلة من حيث عدد مقاطعها	العدد	النسبة
المقطع الواحد (٤) و(٥) و(٦)	٤٦١٣	%٧٣.٩٧٤
متوسطان	١١٤٨	%١٨.٤٠٩
متوسطان يحصران قصيراً	٢٩٧	%٤.٧٦٣
متوسطان يحصران قصيرين	١١٣	%١.٨١٢
متوسطان يحصران ثلاثة قصار	٤٥	%٠.٧٢٢
متوسطان يحصران أربعة قصار	١٦	%٠.٢٥٦
متوسطان يحصران خمسة قصار	٣	%٠.٠٤٨
متوسطان يحصران ستة قصار	١	%٠.٠١٦
المجموع	٦٢٣٦	%١٠٠

والحق أن تحديد موضع انتظام الإيقاع في الفاصلة التي آخرها مقطعين متوسطين مع ما يحصرهما من مقاطع قصيرة إن وجدت – أقول : إن هذا التحديد لا يمكن الاعتماد عليه تماماً ، فكثيراً ما يكون الاعتماد على المقطع الأخير منهما فقط، لاسيما إذا اتفقت الأحرف الأخيرة في الفواصل المحيطة .

فلو عدنا إلى أندر إيقاع في الفواصل القرآنية كلها وهو قول الله تعالى : (ثم عبس وبسر) وتحليله المقطعي : (٢+١+١+١+١+١+٢) نجده غير مستغرب ولا ممتهجن مع إيقاع الآيات السابقة واللاحقة ، بل نراه متسقاً في نسيج واحد معها، وهو قوله تعالى: (إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) [٨٩] ، وهذا والاتساق إنما جاء من وحدة المقطع الأخير فقط مع ما أضفاه الختام بحرف واحد هو الراء من موسيقى .

ودليل آخر على ذلك ، وهو أن سورة مثل سورة طه يضرب بها المثل في روعة الإيقاع وانتظامه وجمال الموسيقى واتساقها تضم (٢٢) نمطاً من أنماط الفواصل البالغ عددها (٥٠)، فلو كانت هذه الأنماط مؤثرة حقاً لما حُكم على إيقاع فواصلها بالانسجام ، إنما كان الاعتماد فيها على الانتهاء بالمقطع (٣) دون النظر إلى ما قبله، فقد ختمت به (١٣١) آية من أصل (١٣٥) .

وما قيل في طه يقال في النجم ، فقد ختمت آياتها بـ (١١) نمطاً من أصل (٥٠)، وإنما كان الاعتماد فيها على المقطع (أ٣) الذي ختمت به (٥٦) آية من أصل (٦٢) [١٠] .

ومع ذلك نجد كثيراً من الفواصل المنتهية بالمقطع المتوسط يلتزم فيها إيقاع ثابت مكون من مقطعين متوسطين، كما في سورة النساء ،إذ تصنف أنماط فواصلها على النحو التالي :

نوع المقطع	عدد التكرارات
(ص٣و + ص٣)	١٢
(ص٣ي + ص٣)	١٥٦
(ص٣و + ص٣و)	١
(ص٤ي)	٧
المجموع	١٧٦

فليس محض مصادفة أن يكون الإيقاع في هذه السورة مبني على المقطعين المتتاليين (ص٣ي/و) + (ص٣أ) . ومثل هذا أيضاً يقال في سورة الإسراء ، ويمكن تصنيف أنماط فواصلها على النحو التالي :

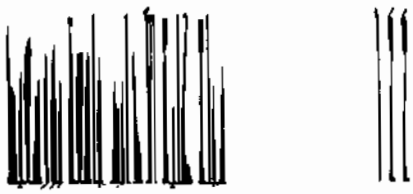

نوع المقطع	عدد التكرارات
(٣و + ٣أ)	٤٥
(٣ي + ٣أ)	٦٣
(٣أ + ٣أ)	١
(٤ي)	١
(٢ + ١) + (٣أ)	١
المجموع	١١١

فلم يكن – أيضاً – محض مصادفة أن يبنى الإيقاع في هذه السورة على المقطعين المتتالين (٣ و/ي) + (٣أ) [٩١] .

ونخلص من هذا إلى أن الإيقاع في الفاصلة القرآنية يعتمد على المقطع الطويل وما فوقه متى ختمت به ، فإن ختمت بالمقطع المتوسط : (٢) أو (٣) فربما اعتمد الإيقاع عليه فحسب ، وربما اعتمد عليه مع مَا يسبقه من مقطع متوسط وما يحصران من مقاطع قصيرة إن وجدت، وفي الحالة الثانية يكون أشبه بما يسمى في الشعر " لزوم ما لا يلزم " ، ويمكن أن نطلق عليه مبالغة في روعة الإيقاع تأدباً مع النص القرآني الشريف .

ونخلص كذلك إلى أن كل سورة في القرآن الكريم لها طابعها الخاص من حيث تردد الحروف المختتم بها الفواصل ، وتوافقها أو اختلافها ، ومن حيث مقاطع نهايات الفواصل وتوافقها أو اختلافها ، وكذا الصوائت الطوال في المقطعين (٣) و(٤) ، وكل طابع منها مؤد إلى إيداع صوتي .

- فهناك سور اعتمد إيقاعها على المقطع الأخير (٤أ) أو (٤و) أو (٤ي) فقط ، كالبقرة وآل عمران والمائدة والأنفال وهود وإبراهيم والحج .
- وسور اعتمدت على المقطع الأخير (٤أ) فقط ، كسورة الرعد .

- وأخرى اعتمدت على المقطع الأخير (٤و) أو (٤ي) مع الحرف الأخيرة كالأعراف ويونس ويوسف والحجر والنحل والأنبياء والمؤمنون والنمل؛ فقد تشابهت الحروف الأخيرة فتناوبت بين النون والميم .
- وأخرى على المقطع الأخير (٢) والحرف الأخير ، كالقمر والهُمزة والإخلاص والناس .
- وأخرى على المقطع (٣أ) ، كالكهف وطه والنجم إلا ما ندر .
- وأخرى على المقطعين الأخيرين (٢) + (٣أ) كسورة الطلاق .
- وأخرى على المقطعين الأخيرين (٣ و/ي) + (٣أ) كالنساء والفرقان والإسراء والأحزاب .
- وسور جمعت بين نمطين : (٢ + ٣أ) ، و(٤) ، مثل سورة مريم .

أو (٣ + ٣أ) ، و(٤) ، مثل سورة فاطر .

أو (٤أ + ٢) أو (٣أ + ١) ، و(٤) ، مثل سورة الحاقة .

<u>أنماط اختلاف الفاصلة في السورة الواحدة :</u>

لعل أبرز السمات التي تميز فواصل سور القرآن الكريم أنها لا تتفق تمام الاتفاق في السورة الواحدة ، كما هو الحال في الشعر العمودي، إلا في النذر اليسير منها ، كسور الشمس والكوثر والعصر ، ويلاحظ أن هذه الخلافات تزداد عدداً في طوال السور ، وتقل كلما قصرت السور .

فنجد الفواصل متفقة في عدة آيات متتالية من السورة ، ثم ينكسر هذا التتابع بنمط آخر إما في الصوت (الحرف) الأخير ، أو في هيئة المقطع ، أو فيهما معاً ، وربما كان الخلاف في الحرف الذي قبل الأخير ، إن كان الأخير ألفاً ، وربما كان في المقطع قبل الأخير ، إن كان الأخير متوسطاً .

ودائماً ما يكون لهذا الانكسار أو انقطاع التتابع علة معنوية ، وقد تكون هذه العلة صوتية ، وقد ينكسر النمط لغير علة ظاهرة اللهم إلا لدفع الرتابة وإرادة التنوع والبعد عن تكلف الشعر .

وفيما يلي نعرض لصور من هذا الخلاف مصحوباً بما ارتأيته من علة ، سائلاً الله عز وجل التوفيق وعدم الشطط أو المغالاة ، ودفعاً للإطالة سأكتفي بذكر عدد من الأمثلة على كل

حالة ، ثم أحال عدداً من السور لبيان تكاملية الأنماط المتباينة ، وعادة ما تكون هذه التكاملية في سور الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم ، كما أشار إلى ذلك أستاذنا الدكتور شوقي ضيف .

وأنماط الاختلاف هي :

١. <u>اختلاف الحرف الأخير :</u>

وله أمثلة كثيرة ، منها :

- انقطاع تتابع النون في نهاية فواصل أوائل البقرة [٦٢] بالراء في الآية (٢٠) ؛ لأنها آخر آية تناولت تصنيف الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق ، وبعدها موضوع جديد .
- انقطاع تتابع النون والميم في نهاية الآيات (١ : ٣٧) من سورة التوبة ، بآيتين (٣٨) منتهية باللام و(٣٩) منتهية بالراء ؛ ذلك لأنهما بداية خطاب للمؤمنين بعد عدد من القضايا قبلهما . ومثل ذلك الآيتان (٧٣ : ٧٤) في السورة نفسها ؛ لأنهما بداية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم .
- انقطاع تتابع النون والميم في نهاية فواصل سورة الحجر باللام في الآية (٧٤) ؛ إذ كانت نهاية قصة لوط عليه السلام ، وكذا في الآية (٨٥) ؛ لأنها بداية وحدة معنوية جديدة بعد انتهاء قصص الأنبياء [٦٣] .
- انقطاع تتابع الألف في نهاية آيات سورة طه (١ : ٢٤) بالباء في الآية (١٤) ، لأنها بداية أوامر مهمة لموسى عليه السلام " وأقم الصلاة لذكري " ثم عود إلى الياء في الآيات (٢٥ : ٣٢)؛ لأنها دعاء وتضرع من موسى إلى ربه "رب اشرح لي صدري.. وأشركه في أمري " .
- انقطاع تتابع النون والميم في نهاية فواصل آيات سورة الرحمن كلها بالراء في الآيتين (١٤ ، ١٥) ؛ لأنهما تمثلان وحدة معنوية مخالفة لما قبلها وما بعدها [٦٤] ، فضلاً عن إرادة التنوع وعدم الرتابة والبعد عن تكلف الشعر .
- انقطاع تتابع النون والميم في نهاية فواصل سورة الصف كلها بالصاد في الآية (٤) ؛ لأنها نهاية وحدة معنوية، وبداية سرد لقصتي موسى وعيسى عليهما السلام مع بني إسرائيل [٦٥] .

- انقطاع تتابع الراء في فواصل سورة الملك (١ : ٢١) بالنون والميم في الآيات (٢٢ : ٣٠)؛ لأنها بداية موضوع جديد ووحدة معنوية مغايرة .
- في سورة التكوير تتابع التاء في نهاية الآيات (١ : ١٤) في شرط وجوابه ، ثم السين (١٥ : ١٨) في قسم ، ثم النون والميم (١٩ : ٢٩) في جواب القسم ، وما استتبعه من امتداح النبي صلى الله عليه وسلم ، وختام بالوعد والوعيد .
- في سورة الغاشية تتابع الهاء في نهاية الآيات (١ : ٥) في الحديث عن جزاء الكافرين ، ثم العين (٦ : ٧) لتنوع العقاب ، ثم الهاء (٨ : ١٦) عن جزاء المؤمنين ، ثم التاء (١٧ : ٢٠) عن آياته سبحانه الكونية ، ثم الراء (٢١ : ٢٤) لبيان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم في الإبلاغ ، ثم الميم (٢٥ : ٢٦) إجمال لما سبق وختام السورة .
- انقطاع تتابع الألف في نهاية الآيات (١ : ٥) بسورة العاديات التي تناولت القسم ، بالدال في الآيات (٦ : ٨) ؛ لأنها جواب للقسم ، ثم تأتي الراء في الآيات (٩ : ١١) ؛ لتتناول وحدة معنوية جديد هي الترهيب من يوم القيامة بالسؤال الإنكاري .

٢. <u>اختلاف المقطع الأخير :</u>

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم :

- انقطاع تتابع الآيات المنتهية بالمقطع (آ) في سورة النساء بالمقطع (ي) في الآيات (١٢ : ١٤) ؛ لما كانت هذه الآيات الثلاث ختام أحكام الميراث وما يتعلق به ، فضلاً عن طول الآية (١٢) ، وفي العادة يحسن التتابع مع قصر المسافة بين الفواصل فإن طالت المسافة كثر الانقطاع وحسن . ومثل هذا تماماً في الآيتين (٢٥ : ٢٦) لما كانتا ختاماً للمُحرَّم من النساء والمباح منهن وما يتبع ذلك من أحكام ، فضلاً عن طول الأولى منهما . ومثله أيضاً الانقطاع بالآية (٤٤) [٩١] لعلة غير ظاهرة ، إلا أن تكون لمخالفة الشعر . ومثله كذلك في آخر آية بالسورة ؛ لكثرة ما يختتم بانكسار التتابع أو مخالفة الأصل في نهاية السور .

- افتتحت سورة الإسراء بآية مختتمة بالمقطع (٤) خلافاً لكل آيات السورة التي ختمت بالمقطع (أ٣)؛ وذلك لكثرة-ما يفتتح أو يختتم بمخالفة الأصل. ومثل هذا في افتتاح سورة مريم بآية منتهية بالمقطع (٤)، وعامة السورة تنتهي فواصلها بالمقطع (أ٣) .
- وفي سورة مريم أيضاً انقطع تتابع آيات منتهية بالمقطع (أ٣) بأخرى منتهية بالمقطع (٤) في الآيات السبع (٣٤ : ٤٠) ؛ لأنهن فصل بين قصتي عيسى وإبراهيم عليهما السلام .
- انقطاع تتابع الآيات المنتهية بالمقطع (أ٣) في سورة طه ، بأخرى منتهية بالمقطع (٢) في الآية (٧٨) وهو مقطع مغلق يناسب مع نهاية فرعون في-قوله-تعالى : " فغشيهم من اليم ما غشيهم " .
- انقطاع تتابع آيات منتهية بالمقطع (٤) في سورة الأنبياء كلها بالآية (٦٦) المنتهية بالمقطع (٢) [٢٧] ؛ لأنها فصل بين نصح إبراهيم عليه-السلام قومه والضجر منهم ، فهي فصل بين حالين .
- انقطاع تتابع المقطع (أ٣) في نهاية آيات سورة الفرقان كلها ، بالمقطع (٤) في الآية (١٧) لغير علة ظاهرة إلا مخالفة للشعر أو درءاً للرتابة . ومثله أيضاً انقطاع تتابع المقطع (أ٤) في سورة الرحمن بآيات مختتمة بالمقطع (٥) وهما الآيتان (١٧ ، ٢٩) ، وبالمقطع (٦) الآيات (٣٩ ، ٥٦ ، ٧٤) ، كل هذا لإرادة التنوع وكسر النمط لدفع الرتابة .
- انقطاع تتابع آيات سورة الزمر كلها المنتهية بالمقطع (٤) بالآية (١٤) التي تنتهي بالمقطع (أ٣) ؛ لقوة العلاقة بين هذه الآية وما بعدها كما لو لم تكن فاصلة " قل الله أعبد مخلصاً له ديني . فاعبدوا ما شئتم " .
- ختمت آيات سورة محمد بالمقطع (٢) وقبله (أ٣+١) في الغالب الأعم ، إلا في الآيتين (١٠ ، ٢٤) فختمتا بالمقطع (أ٣) ؛ لأن الآية الأولى فيها تنبيه لما يصيبهم والفزع للأذان: وللكافرين أمثالها " ، فاقتضى قرع الآذان المغايرة . أما الثانية : " أم على قلوب أقفالها " ، فلمناسبة معنى الكلمة نفسها لما فيها من إغلاق ووقف عن الهدى ، ولو شاء تعالى لقال : " أم أقفال على قلوبهم " ، ليتسق مع السورة كلها .

- انقطاع تتابع آيات سورة التحريم المنتهية بالمقطع (٤) بالمقطع (٣أ) في الآية (٥) ؛ لأنها فصل بين قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته وموضوعات أخرى تحمل وحدات معنوية مغايرة تماماً .
- التُزم المقطع (٣أ) في نهاية آيات سورة المزمل ، إلا الأولى فإنها ختمت بالمقطع (٢) ، وإلا الأخيرة فبالمقطع (٤) ؛ لأن أوائل السور وخواتيمها من مواضع التغيير والمخالفة . ومثله بدء سورة المسد بآية تنتهي بالمقطع (٥)، مخالفة بذلك آيات السورة الأخر المنتهية بالمقطع (٢) .
- جاءت آيات سورة النبأ مختتمة بالمقاطع (٣أ+٣أ) إلا خمس آيات في أولها، جاءت مختتمة بالمقطع (٤) ؛ لأنها دلت على موضوع يخالف ما بعده ؛ إذ تناولت تكذيب الكفار بيوم البعث ووعيد الله لهم .
- انقطاع تتابع الآيات المنتهية بالمقطع (٢) في أول سورة الطارق بأخرى انتهت بالمقطع (٥) وهي (١١ : ١٤) ، لما كانت هذه الآيات تمثل قسماً وجوابه. وزاد من جمال الإيقاع لختلاف الحرف الأخير في (١١ ، ١٢) وهو العين عنه في (١٣ : ١٤) وهو اللام ؛ لما دلت الأوليان على القسم والأخريان على جوابه .
- انقطاع تتابع المقطع (٣أ) في سورة الضحى (١ : ٨) بالآيات (٩ : ١١) المنتهية بالمقاطع (٢+٢) لما دلت هذه الآيات على وحدة معنوية جديدة هي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (نهيان وأمر) ، وهي مبادئ على ما سبق من نعم الله تعالى عليه .
- انقطاع تتابع الآيات المنتهية بالمقطع (٣أ) في الآيات (١ : ٥) في سورة العاديات وقد تناولت قسماً، بالآيات (٦ : ٨) المنتهية بالمقطع (٤)، التي تناولت جواب القسم .

٣. <u>اختلاف الحرف الأخير والمقطع الأخير :</u>

ومن أمثلته في القرآن الكريم :

- ختمت آيات سورة الصافات بالمقطع (٤و/ي) وبحرفي النون والميم إلا إحدى عشرة في البداية، قسمت قسمين: الأول (١ : ٣) وختم بالمقاطع (٢+٣أ) وهو خاص بالقسم ، والآخر

(٤ : ١١) وختم بالمقاطع (أ٣+٢) وبحروف الدال والقاف والباء (حروف قلقلة) وهو خاص بجواب القسم وتوابعه ، ومن ثم اختلف المقطع والحرف الأخير حسب الموضوع .

- ختمت كل آيات سورة الذاريات بالمقطع (٤و/ي) وحرفي النون والميم إلا تسع آيات في مطلعها ، أربع منها : (٢+أ٣) ، واثنان (أ٣+٢) وبغير النون والميم ، وثلاث (٢+١+٢) بغير النون والميم أيضاً ، وهذه الآيات يجمعها مضمون واحد هو قسم وجوابه ، ثم قسم آخر وجوابه .
- بدأت سورة الطور بست آيات مختتمة بالمقطع (٤و) والراء إلا الآية (٥) فبالحين ، ثم آيتين يختتمان بالمقطع (أ٣+٢) وبحرف العين ، ثم آيتين بالمقطع (٢+أ٣) ، ثم آيتين بالمقطع (٤و/ي) وبالنون ، ثم آية واحدة بالمقطع (٢+أ٣) وبالعين، ثم توالت الآيات (١٤ : ٤٩) بالغالب الأعم في السورة (٤و/ي) وبالنون والميم. وهذا الاختلاف في البداية يرجع إلى أن كل نمط من هذه الأنماط يمثل وحدة معنوية على النحو التالي : (١ : ٦) قسم ، (٧ ، ٨) جوابه ، (٩ ، ١٠) من مشاهد يوم القيامة ، (١١ ، ١٢) جزاء المكذبين مجملاً ، (١٣) بداية ما يحدث لهم من أهوال .
- انقطاع تتابع آيات سورة النجم كلها المختتمة بالمقطع (أ٣) بست آيات في النهاية ، فجاءت (٥٧ ، ٥٨) مختتمة بالمقطع (أ٣+١+٢) وبالهاء ؛ لأنها تمثل وحدة معنوية جديدة خلاف ما قبلها ، حيث دلتا على قرب يوم القيامة " أزفت الآزفة " ، بعد أن كان الحديث عن إهلاك الأمم السابقة ، ثم (٥٩ : ٦١) مختتمة بالمقطع (٤و) وبالنون ؛ لأنها تمثل استنكاراً منه تعالى على الكافرين " أفبهذا الحديث أنتم تعجبون " ، ثم الآية (٦٢) المختتمة بالمقطع (٣و) على عادة كثير من السور تفتتح أو تختتم بما يغاير عامة السورة .
- انقطاع تتابع المقطع (أ٣) بالمقطع (٤ي) والهاء في الآيات (١١ : ١٤) من سورة المعارج، وهي تشكل وحدة معنوية مستقلة هي ما يتمناه الكافر من الفداء يوم القيامة " يود المجرم لو يفتدي يومئذ ببنيه ... ينجيه " .

- انقطاع تتابع الآيات (١ : ٥) في سورة الانفطار المختتمة بالمقطع (٢) والتاء والتي تناولت الشرط وجوابه بالآية (٦) المختتمة بالمقطع (٤ي) والميم ؛ وذلك لأنها تمهد لموضوع جديد من خلال الاستفهام الإنكاري للإنسان " ما غرك بربك الكريم " ، ثم عود إلى المقطع (٢) مع استبدال التاء بالكاف في الآيتين (٧ ، ٨) .
- انقطاع تتابع الآيات المنتهية بالمقاطع (٣أ+١+٢) والهاء بسورة الغاشية (١ : ٥) بالآيتين (٦ ، ٧) المنتهيتين بالمقطع (٤ي/و) والعين ؛ من أجل التنويع، الذي يتناسب مع تنوع العذاب، من صلاية النار وسقيا الحميم ثم طعام الضريع، ثم يأتي الكلام عن أهل الجنة على النمط الأول .
- انقطاع تتابع المقطع (٥) مع حرف الراء في ختام الآيات (١ : ٥) سورة الفجر – وقد تناولت قسماً مغلظاً – بالمقطع (٤أ) مع الدال في الآيات (٦ ، ١٤) ؛ لتناولها موضوعاً آخر هو إهلاك الأمم السابقة ، إلا الآية (١٣) فقد انتهت بالباء؛ لأنها الآية التي صرحت بالعقوبة، " فصب عليهم ربك سوط عذاب " .
- انقطاع تتابع المقطع (٢+٢) مع الكاف في فواصل الآيات في سورة الشرح (١ : ٤) بالمقطع (٢+٣أ) في الآيتين (٥ ، ٦) ، ثم عود إلى المقطع الأول ولكن مع الباء في الآيتين (٧ ، ٨) ؛ لأن كل مقطع من المقاطع الثلاثة يدل على وحدة معنوية مغايرة للأخريْن : تذكير بالنعمة ، ثم تبشير بالفرج ، ثم أمر بالانقطاع للعبادة .
- انقطاع تتابع آيات سورة الزلزلة (١ : ٥) المنتهية بالمقاطع (٣أ+١+٣أ) وقد تناولت مشاهد من القيامة بالآية (٦) المنتهية بالمقاطع (٣أ+١+٢) والميم ، موافقة ما قبلها في المقاطع قبل الأخيرة ، ومخالفة في المقطع الأخير والحرف ، وموافقة ما بعدها في المقطع الأخير ومخالفة في الحرف والمقطع قبل الأخير ؛ حيث مهدت لموضوع جديد وهو المحاسبة على العمل وإن دقّ ، فكانت حلقة وصل بين وحدتين معنويتين .

٤. **اختلاف صائت وسط المقطع (٤) الأخير [١٨] :**

ومن أمثلته في القرآن الكريم :

- غلبة الفواصل المنتهية بالمقطع (٤أ) في بداية سورة آل عمران وفي نهايتها على عادة البدايات والنهايات من مخالفة الأصل ، وبقية الآيات مختتمة بالمقطع (٤و/ي) . وفي نهاية السورة جاءت الآيات المختتمة بالمقطع (٤أ) لتناولها موضوعاً جديداً مغايراً لما قبله، وذلك قوله تعالى: " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب "، ثم تأتي آخر آية في السورة على الأصل الغالب (٤و) .
- انقطاع تتابع المقطع (٤و/ي) في ختام آيات سورة المائدة بالمقطع (٤أ) في الآية (٩٥) ؛ وذلك للفصل بين ما حرم الله من الصيد وما أحلّ منه .
- انقطاع تتابع المقطع (٤و/ي) في ختام فواصل آيات الأنفال بالمقطع (٤أ) في الآية (٤٨) ؛ لقوة ما بين هذه الآية وما بعدها من رباط دلالي ، كأنها ليست بفاصلة ، وذلك قوله تعالى: " وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم ... والله شديد العقاب. إذ يقول المنافقون ". ومثلها انقطاع تتابع المقطع (٤أ) في ختام فواصل آيات سورة إبراهيم بالمقطع (٤و) في الآية (٢٥) للعلة السابقة ، وذلك قوله عز وجل : " ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة ... لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة ". وكذا انقطاع تتابع المقطع (٤و/ي) في ختام فواصل آيات سورة الحديد كلها ، بالمقطع (٤أ) في الآية (٢٥) للعلة السابقة، وذلك قوله تعالى : " فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم ... " .
- انقطاع تتابع المقطعين (٤و/ي) في ختام آيات سورة يوسف بالمقطع (٤أ) في الآية (٤١)؛ إذ كانت نهاية موضوع وبعدها بداية آخر: " قضي الأمر الذي فيه تستفتيان . وقال للذي ظن أنه ناج ... " .
- تنوع صائت الوسط في الآيات الأولى من سورة الزمر (١ : ٢١) بين كل من (٤و) ، (٤ي) ، (٤أ) ؛ ويبدو أن ذلك من باب التنوع الصوتي المؤثر في جمال الإيقاع ، ولعل هذه العلة تبدو أكثر ما تبدو في سورة غافر كلها بما فيها من تنوع صائت الوسط في آياتها .

- وقد يكون اختلاف صائت الوسط في المقطع (٤) لغير علة ظاهرة ، اللهم إلا لدفع الرتابة وإرادة التنوع والبعد عن تكلف الشعر ، كما في آيات سورة الأنفال (١١ : ١٥) حتى انقطع تتابع المقطع (٤و/ي) بالمقطع (٤أ) ، ومثل ذلك في الآية (٣٢) من سورة الشورى .

٥. <u>اختلاف الحرف الأخير وصائت وسط المقطع (٤) الأخير :</u>

كثيراً ما يصاحب تغير صائت الوسط في المقطع (٤) – من الواو أو الياء إلى الألف أو العكس – تغير في الحرف الأخير – من النون أو الميم [٩٩] إلى غيرهما أو العكس – فمن ذلك مثلاً :

- آيات سورة البقرة (١٦٥ : ١٦٧) : (العذاب، أسباب، النار) لأنها تتناول وحدة معنوية مغايرة لما قبلها وما بعدها ، فقد تناولت صنفاً من الناس يتخذ من دون الله أنداداً ، مع ذكر عقوبتهم .
- ومثلها (البقرة / ٢٠٤ : ٢٠٧) : (الخصام، الفساد ، المهاد ، بالعباد) فقد تناولت موضوعاً غير سابقه ولاحقه ، فقد تحدثت عن صنفين متباينين من الناس متباينين ، وجزاء كل منهما .
- ومنها (المائدة / ٧٢): (أنصار)؛ إذ كانت بداية موضوع جديد تناول كفر من خاضوا في المسيح بغير علم ولا هدى، وذلك قوله تعالى: " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح.. " .
- ومنها (يوسف / ٣٩): (القهار)، فقد كانت بداية دعوة يوسف عليه السلام صاحبيه إلى الله تعالى: " يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ....".
- ومنها (الرعد / ١ : ٥) ختمت فواصلها بالمقطع (٤و) وبحرف النون ، ثم توالت الآيات مختتمة فواصلها بالمقطع (٤أ) وبحروف غير النون ؛ وذلك لأن هذه الآيات تناولت موضوعاً غير الذي يليها .
- ومنها (ص / ٦٧ : ٨٨) جاءت فواصلها بالمقطع (٤و/ي) وحروف النون والميم واللام [١٠٠] قاطعة تتابع المقطع (٤أ) وحروف غير النون والميم ، ذلك بأن هذه الآيات تناولت إجمالاً لما سبقها من الآيات في نعيم الجنة وعذاب النار ، وتمهيداً لذكر قصة عصيان إبليس ربه .

- آخر آية بسورة الانفطار خالفت ما قبلها ، فقد جاءت فاصلتها بالمقطع (٤أ) وحرف الهاء ، في حين جاءت آيات السورة كلها بالمقطع (٤و/ي) وبالنون والميم ؛ وذلك لأنها ختام سورة ، وكثيراً ما تخالف بداية السورة أو نهايتها عامة ما ورد فيها .

٦. <u>اختلاف الحرف قبل الأخير :</u>

ومن أمثلة ذلك :

- اتفقت الآيات (١٥ : ٢١) من سورة المعارج في المقطع الأخير (٣أ) ، إلا أن الآيات (١٩ : ٢١) اختصت باتفاقها في الحرف قبل الأخير وهو العين؛ لأن هذه الآيات الثلاث تمثل وحدة معنوية ، هي الكشف عن طبيعة البشر .
- اتفقت الآيات (٣ : ١٢) من سورة الطلاق في المقاطع الأخير (٢+٣أ) وفي الحرف قبل الأخير وهو الراء ، إلا الآيتين الأخيرتين ، فقد كان الحرف قبل الأخير فيهما القاف ثم الميم، ويبدو أن السبب في هذا كونهما خاتمتين للسورة .

٧. <u>اختلاف المقطع قبل الأخير :</u>

من ذلك مثلاً :

- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة من فواصل آيات سورة الإسراء كلها ، وهي (٣و/ي + ٣أ) بالمقاطع (٢+١ + ٣أ) في الآية (١٠٧) ؛ لقوة ارتباطها بما بعدها وكأنها ليست بفاصلة ، وذلك قوله تعالى : " يخرون للأذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا " .
- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة من فواصل آيات سورة الكهف (٦٥ : ١٠١) وهي (٢ + ٣أ) بالمقاطع (٢+١+١+١+١ + ٣أ) في الآيات (٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢) في قول الله تعالى : " فأتبع سبباً "، " ثم أتبع سبباً " [١٠١] ؛ فقد كثرت المقاطع القصيرة التي تتشابه إيقاعها السريع المنتظم بحركات السير الحثيث الذي دلت عليه الآيات ، وكأنها خطوات تتبع أخرى ، لاسيما أن حركة هذه المقاطع القصيرة واحدة وهي الفتحة .
- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٣ي+٣أ) في فواصل سورة الفتح بالمقاطع (٣و+٣أ) في الآية (١٢) ؛ درءاً للرتابة ومخالفة للشعر .

- اتفقت المقاطع الأخيرة (٣أ+١ + ٢) من فواصل سورة الحاقة (٤ : ٢٩) وكانت البداية في الآيات (١ : ٣) من المقاطع (٤أ+٢)، مع اتفاق الآيات كلها في الحرف الأخير (هـ) ؛ وذلك لأن هذه الآيات الثلاث تمثل وحدة معنوية ، هي القسم الذي تصدر السورة. وما بعدها تناول وحدة أخرى.
- انقطاع تتابع المقاطع (٢+٣أ) في فواصل سورة الأعلى بالمقاطع (٣أ+٣أ) في الآيتين الأخيرتين ، وذلك لختام السورة [١٠٢] .
- فواصل آيات سورة الغاشية (٨ : ١٦) متفقة في المقطع الأخير (٢) وفي وحرفها الأخير (هـ) ، فهي تتناول وصفاً للنعيم الجنة ، ولكنها اختلفت في المقاطع قبل الأخيرة ، ففي الآيات (٨ : ١٢) كانت (٣أ+١) ، وفي الآيات (١٣ : ١٦) كانت (٣و) ؛ ذلك بأن كل جزء منهما تناول لوناً من ألوان النعيم ، فتنوع الإيقاع بما يناسب تنوع النعيم .
- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٢+١ + ٢) في فواصل سورة التين (١ : ٥) بالمقاطع (٢+٢) في الآيات (٦ : ٨) ، مع اتفاق الجميع في الحرف الأخير (هـ) ؛ ذلك لأن الجزء الأول تناول الحديث عن الدين، والثاني عن موقف الناس منه وجزاء كل صنف .
- الآيات (٦ : ١١) من سورة القارعة اتفقت فواصلها في المقطع الأخير (٢) والحرف الأخير (هـ) ولكنها اختلفت في المقطع قبل الأخير ، ففي الآيتين (٦ ، ٨) كانت المقطع قبل الأخير فيهما (٣ي) وبقية الآيات كان ما قبل المقطع الأخير (٣أ+١) ؛ لأن الآيتين (٦ ، ٨) شرطان وما بعد كل منهما جواب .

٨. <u>اختلاف صفات المقطع (٣) قبل الأخير :</u>

من أمثلة ذلك :

- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٣و/ي + ٣أ) في الفواصل من سورة الفرقان بالمقاطع (٣أ + ٣أ) وذلك في الآيات (٦٣ : ٧٧ آخر السورة) ؛ لما تناولت هذه الآيات وحدة معنوية خلاف ما قبلها ، وهي صفات عباد الرحمن وجزاؤهم ، إلا الآية (٧٠) فإنها انتهت بالمقاطع

(٣ي+١أ) ، وربما كان ذلك لأن هذه الآية والتي بعدها تناولتا موضوع فرعي هو التوبة وجزاء التائبين " إلا من تاب ... وكان الله غفوراً رحيماً . ومن تاب وعمل صالحاً ... " .

- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٣و/ي + ١أ) في فواصل سورة الإسراء بالمقاطع (١أ + ١أ) في الآية (٨٢) ؛ لما كانت هذه الآية فارقة بين وحدتين معنويتين : الأولى أوامر ونواه للنبي صلى الله عليه وسلم ، والثانية كفر الإنسان بنعمة الله .
- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٣ي + ١أ) في الفواصل من سورة الفتح بالمقاطع (٣و + ١أ) وذلك في الآية (١٢) ؛ لدفع الرتابة وتنويع الإيقاع ومخالفة الشعر .

٩. <u>اختلاف الحرف الأخير والمقطع قبل الأخير :</u>

ويمكن التمثيل لهذا بما يلي :

- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٣و+٢) في فواصل الآيات (١٣ : ١٦) من سورة الغاشية وحرفها الأخير (هـ) بالآيات (١٧ : ٢٠) ومقاطعها الأخيرة (٢+١+١+١ + ٢) وحرفها الأخير تاء ، فجاءت المجموعة الثانية مخالفة للأولى في الحرف الأخير والمقطع قبل الأخير ؛ لأنها تمثل وحدة معنوية أخرى هي إظهار قدرة الله في خلقه .
- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (١أ+١ + ٢) في فواصل الآيات (١٥ : ١٨) من سورة العلق والمنفقة في حرفها الأخير (هـ) بالآية (١٩) ، ومقاطعها الأخيرة (٢+١ + ٢) وحرفها الأخير (ب)، لأنها ختام السورة، فضلاً عن تناولها موضوعاً مخالفاً لما قبلها ، وهو نهي الله تعالى نبيه عن طاعتهم ، والأمر بكثرة الصلاة والتقرب إليه تعالى .

١٠. <u>اختلاف الحرف قبل الأخير والمقطع قبل الأخير :</u>

من ذلك على سبيل المثال :

- انقطاع تتابع المقاطع الأخيرة (٢+١أ) في فواصل الآيات (١ : ١٠) من سورة الطلاق وحرفها قبل الأخير هو الراء بالآية (٢) ، ومقاطعها الأخيرة (٢+١ + ٢) وحرفها قبل

الأخير الجيم ؛ وذلك لأن هذه الآية متعلقة بما بعدها كما لو لم تكن فاصلة " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب " .

١١. <u>اختلاف الحرفين (الأخير وقبل الأخير) والمقطع قبل الأخير :</u>

ويمكن التمثيل لذلك بما يلي :

- تناولت الآيات (٧ : ١٣) من سورة الانشقاق صنفين من الناس ، المؤمنون (٧ : ٩) ، والكافرين (١٠ : ١٣) ، واتفقت الآيتان (٧ ، ١٠) في المقطع الأخير (٢) والحرف الأخير الهاء؛ لما كانتا بداية كل صنف " فأما من أوتي كتابه بيمينه " ، " وأما من أوتي كتابه وراء ظهره " ، ثم اتفقت الآيتان (٨ ، ٩) مع الآيات (١١ : ١٣) في المقاطع الأخيرة (٣و/ي + ٣أ) وفي الحرف الأخير (الألف) وقبل الأخير (ر) ؛ لأنها مفصلة لجزاء كل صنف ، ولما كان الصنفان مختلفين كان من الطبعي أن يكون ثمة خلاف ، فكان الخلاف في المقطع قبل الأخير من الآيتين (٧ ، ١٠) الممهدتين لكل صنف ، فكانت في الآية (٧) هي (٣ي) ، وفي الآية (١٠) كانت (٢) .

<u>تحليل صوتي لفواصل سور كاملة :</u>

١. <u>سورة الواقعة :</u>

بدأت السورة بثلاث آيات اختتمت فواصلها بالمقاطع (٣أ+١ + ٢) وبحرف الهاء ، وهي آيات تمثل صورة من صور يوم القيامة ، ثم ثلاث أخرى ختامها (٢+٣أ) تمثل صورة ثانية ، ثم ثلاث ختامها المقطع (٢) وحرف الهاء ، تقسم الناس ثلاثة أقسام . فكل مجموعة تمثل وحدة معنوية . ثم تأتي الآيات لتتحدث عن السابقين فتنتهي مقاطع فواصلها بالغالب الأعم في القرآن (٤و/ي) وحرف النون والميم (١٠ : ٢٤)، اللهم إلا الآية (١٥)، فقد انتهت بالمقاطع (٣أ+٢) وحرف الهاء ؛ لقوة تعلقها بالآية بعدها ، ثم تختم قصة السابقين بالمقطع (٣أ) وحرف الميم .

أما الحديث عن أصحاب اليمين فقد تنوعت المقاطع والحروف الأخيرة هي فواصل آياتها وفقاً لتنوع النعيم على النحو التالي :

- (٢٧ : ٣١) انتهت بالمقطع (٤و/ي) مع النون والدال والباء .

- (٣٢ : ٣٤) انتهت بالمقطع (٢) مع الهاء .
- (٣٥ : ٣٧) انتهت بالمقطع (أ٣) .
- فلما كانت نهاية الحديث عنهم : " لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين " انتهت بالمقطع الغالب (٤ي) والنون

ولما ابتدئ الحديث عن أصحاب الشمال اختتمت الآية (٤١) بالمقطع (٤أ) ، ثم تتابعت المقاطع الأخيرة فيما بقي من فواصل على صورة (٤و/ي) وحرفي النون والميم . ومن ثم نقول : إن تعدد الموضوعات والمعاني الجزئية الواردة بالسورة كلها استتبع تعدد أنواع المقاطع والحروف المختتم بها الفواصل .

ويلاحظ أن كل ما جاء مختتماً بالمقطع (٢) في السورة اختتم بحرف الهاء (١ : ٣) ، (٧ : ٩) ، (١٥) ، (٣٢ : ٣٤) . وفي السورة أيضاً اتفاق المقطع (٤و) وحرف النون في وحدة معنوية متكاملة وهي محاجة الكفار " نحن خلقناكم فلولا تصدقون ... المقوين " ، وهي تمثل (١٧) آية (٥٧ : ٧٣) ، إلا الآية (٦٠) فقد انتهت بالمقطع (٤ي) ؛ لقوة تعلقها بما بعدها " وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل " ، وإلا الآية (٧٣) لكونها ختام المحاجة .

٢. <u>سورة الحاقة :</u>

اختتمت فواصل الآيات الثلاث الأولى وهي خاصة بالقسم بالمقاطع (٤أ+٢) وحرف الهاء ، ثم اختتمت الآيات (٤ : ٢٩) بالمقاطع (٣أ+١ + ٢) والهاء أيضاً ، وقد تناولت هلاك الأمم السابقة وجزاء المؤمنين وندم الكافرين . وفي الآيات (٣٠ : ٣٢) كان الحديث عن صنوف عذابهم ، واختتمت بالمقطع (٤و) والهاء أيضاً. وفي بقية آيات السورة كان الكلام عن سبب هذا الجزاء وقضايا أخرى واختتمت بالمقطع (٤و/ي) وحرفي النون والميم ، اللهم إلا الآية (٤٤) التي انتهت بحرف اللام ؛ وذلك لقوة العلاقة بينها وبين ما بعدها ، وكأنها لبست بفاصلة ، فالآية شرط وما بعدها جزاؤه .

ومن ثم تنوعت المقاطع الختامية للمقاطع وكذا حروفها الأخيرة تبعاً لتنوع الوحدات المعنوية، ويلاحظ أن الآيات (٣٠ : ٣٢) التي تناولت صنوف عذاب الكفار كانت مرحلة انتقالية بين ندم

الكفار وسبب عذابهم، ومن ثم وافقت ما قبلها في الحرف الأخير وهو الهاء، كما وافقت ما بعدها في المقطع الأخير وهو (٤و/ي) .

٣. سورة المدثر :

بدأت بسبع آيات فواصلها مختتمة بالمقطع (٢) والراء ، وكلها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اختتمت الآيات (٨ : ١٠) بالمقطع (٤و/ي) والراء أيضا وذلك في مشهد يوم القيامة، ثم الآيات (١١ : ١٧) اختتمت بالمقطع (٣أ) لتناولها موضوعاً جديداً هو بيان نعمة الله على الكافر مع عناده إلا الآية (١٥) التي اختتمت بالمقطع (٤ي) والدال ، لأنها بينت جحود الكافر بنعمة الله ، فلما خالف الكافر ما ينبغي عليه من شكر النعمة خالفت الآية ما حولها من الآيات في المقطع والحرف الأخيرين ، فتباين الموقف أدى إلى تباين الإيقاع .

ثم تأتي الآيات (١٨ : ٣٧) مختتمة بالمقطع (٢) والراء متناولة عدداً من الوحدات المعنوية، ثم تأتي الآية (٣٨) مختتمة بالهاء ؛ لأنها بداية الكلام عن حال أهل اليمين وحال المجرمين في سقر وهي الآيات (٣٩ : ٤٩) التي انتهت بالمقطع (٤و/ي) والنون ، عدا الآية (٤٢) التي ختمت بالمقطع (٢) والراء ، على ما هو غالب في السورة؛ وذلك لأنها تمثل فاصلاً بين حال المومنين وحال الكافرين يوم القيامة . ثم تختتم السورة بسبع آيات (٥٠ : ٥٦) مختتمة بالمقطع (٢) والهاء ؛ وكلها تناولت وحدة معنوية هي تمثيل حال الكفار في الدنيا ، وأن مشيئة الله تعالى فوق كل مشيئة .

٤. سورة القيامة :

بدأت السورة بخمس وعشرين آية مختتمة بالمقطع (٢) إلا الآيتين (١٠ ، ١٢) فختمتا بالمقطع (٥) [١٠٣] ، إلا أن الآيات الست الأولى ختمت بالهاء ؛ وذلك لتناولها قسماً بالبعث والنشور ، ثم ختمت الآيات (٧ : ١٣) بالراء ؛ لتناولها مشهداً من مشاهد القيامة ، ثم تعود الآيات (١٤ : ٢٥) إلى الهاء وهي غالبة في السورة ، ثم الآية (٢٦) التي تخالف في المقطع والحرف الأخير (٣ي) ؛ لأنها بداية موضوع جديد هو مشهد من مشاهد الاحتضار التي عبرت عنه الآيات (٢٧ : ٣٠) المختتمة بالمقطع (٤أ) والقاف [١٠٤].

العدد الأول / يناير- ٢٠١٣م

(الخاتمة)

١. للفاصلة قيمة صوتية دلالية ، ومراعاتها في القرآن الكريم ظاهرة ، وقد أدى ذلك إلى تقديم عنصر أو تأخيره أو حذفه ؛ وذلك ليس للتناغم الصوتي الإيقاعي فحسب ، بل لضرب من رعاية المعنى أيضاً ، خلافاً للقافية والسجع فإنهما عادة يقصدان لذاتهما والمعنى فيهما تابع .

٢. الأصل في تحديد موضع الفاصلة في القرآن الكريم أنه أمر توقيفي من الشارع الحكيم ، وما وقع فيه خلاف فهو نذر يسير روعي في المصاحف التي أرسلها الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار .

٣. التناسق الموسيقي والإيقاعي في النظم القرآني – والفاصلة جزء منه – يعد من عناصر الإعجاز اللغوي ؛ ومن ثم فهو مقصود في القرآن الكريم .

٤. ما يعد عند العروضيين عيباً في القافية كالإيطاء والتضمين لا يعاب في غير الشعر ، ومنه القرآن الكريم .

٥. الإيقاع توزيع كمي منتظم ، أما الموسيقى غير الإيقاعية (الداخلية) فتعتمد على صفات الأصوات وتوافقها ، والفاصلة القرآنية قد تراعي الإيقاع وحده ، وقد تراعي الموسيقى الداخلية وحدها ، وقد تراعيهما معاً .

٦. لم تُلتزم مراعاة موسيقى الفاصلة وإيقاعها في القرآن الكريم كله ؛ لأن الإيقاع الفني القائم على النسق المنتظم المنضبط دون أية شائبة يغلب على أثره في النفس أن يكون حسياً مع تضاؤل الآثار الفكرية ، والتزام الرتابة يؤدي إلى ما يشبه الغدر ، حتى قالوا : القاعدة في الفن تحاشي الانتظام التام .

٧. عوامل التأثير في إيقاع الفاصلة وموسيقاها يتمثل في : توافق الصوت الأخير فيها مع نظائره قبلاً وبعداً ، وكذا اتفاق مقاطع خواتيمها .

٨. توافق الصوت الأخير في الفواصل قد يكون توافق مماثلة ، بأن يتردد صوت واحد في خواتيمها أو توافق مشابهة، بأن يتردد عدد من الأصوات يربط بينها رابط من صفة أو مخرج أو كليهما .

٩. يُحدَّدُ الصوت الأخير في الفاصلة على أساس الوقف لا الوصل .

١٠. متى ختمت الفواصل بصوائت طوال كان المعول في الموسيقى على هذه الصوائت ، وعُدّت من الأصوات المختتم بها ، خلافاً لبعض الباحثين .

١١. النون والميم في نهاية الفواصل أختان ؛ لتقاربهما في المخرج والصفات ولتعاقبهما – منفردتين – في سور عديدة ، وإن كانت النون أكثر وروداً .

١٢. أقرب الأصوات إلى النون والميم : الراء واللام لاشتراكها جميعاً في صفة الذلاقة ؛ ومن ثم تناوبتا معهما في فواصل كثيرة .

١٣. أصوات القلقلة استغرقت فواصل بعض السور، واجتمعت على معظم فواصل سور أخرى .

١٤. ختمت الفواصل بالأصوات التي تتميز بالوضوح السمعي إلا الذكر اليسير ، ولذا ارتفعت نسبة الفواصل المنتهية بالألف مقارنة بنظيرتها المنتهية بالواو والياء الصائتتين ؛ لأن الأولى أكثر وضوحاً ، وكانت نسبة الفواصل المنتهية بالصوامت المهموسة مقارنة بالمنتهية بالصوامت المجهورة ؛ لأن المهموس أقل وضوحاً ، وغلب من المجهور النون والميم لأنهما أوضح من غيرهما .

١٥. غلب المقطع الطويل (ص ح ح ص) في نهاية الفاصلة ، وتلاه المتوسط المفتوح (ص ح ح) ثم المتوسط المغلق (ص ح ص) ، ثم الزائد في الطول (ص ح ص ص) ، ثم الطوال (ص ح ح ص ص) ، وترجع غلبة المقطع الطويل إلى صائت الوسط بما فيه من إمكانية المد الذي يضفي عليه نوعاً من الإيقاع المتسق ، فضلاً عن غلبة النون والميم الأختين في آخره .

١٦. الواو والياء كثيراً ما يتناوبان وتقفو إحداهما الأخرى في الفواصل المنتهية بالمقطع الطويل (ءو) ، (ءي) خلافاً للمقطع (ءأ) ، وذلك لأن الواو والياء من الصوائت الضيقة على العكس من الألف .

١٧. يرجع انتظام الإيقاع إلى المقطع الأخير فقط في الفواصل المنتهية بالمقطع الطويل فما فوقه، فإن كان من المتوسط فعادة ما يرجع انتظام الإيقاع إلى آخر مقطعين متوسطين وما بينهما من مقاطع قصيرة إن كان ثمة مقاطع قصيرة بينهما ، وربما يرجع هذا الانتظام إلى المقطع المتوسط الأخير فقط .

١٨. لاختلاف الفواصل في السورة الواحدة عدة أنماط ، هي :

- اختلاف الحرف الأخير .
- اختلاف المقطع الأخير .

٣٢. البحر المحيط (٨ / ٣٧٣) ، وتفسير القرطبي (١٩ / ٧٢ ، ٧٣) وقريباً من هذا أيضاً ما قاله عتبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وكانا كافرين . يراجع الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ص / ١٧٤ : ١٧٥) .

٣٣. (١٣ : ١٤ / الحاقة)، ومثلها : (١٠١ : ١٠٣ / البقرة) ، (٩٤ : ٩٥ / الإسراء)، (٥٠ : ٥١ / الذاريات)، (٨ : ٩ / القيامة) ، (١ : ٣ / الناس) .

٣٤. (٥٤ : ٥٥ / هود) كذا في المصحف الكوفي فقط ، ومثله : (٤٣ : ٤٤ / النحل) (٢٣ : ٢٤ / الكهف) ، (٩٢ : ٩٣ /طه) ، (٣٩ : ٤٠ / الزمر) .

٣٥. (١ : ٤/ الطارق) .

٣٦. (٣٨ ، ٣٩ / طه)

٣٧. (٥٩ ، ٦٠ / النجم) .

٣٨. (٣٩ ، ٤٠ / المرسلات) .

٣٩. (٢٨ : ٣٠ / الواقعة) .

٤٠. (٧ : ٩ / البقرة) .

٤١. البيان في روائع القرآن للدكتور تمام حسان (١ / ١٩٣) .

٤٢. (٢٥ : ٢٩ / الحاقة) .

٤٣. (٧٠ / طه) .

٤٤. (١٢٢ / الأعراف ، ٤٨ / الشعراء) .

٤٥. يراجع إعجاز القرآن للباقلاني (ص / ١١٥) .

٤٦. (٢٨ / النبأ) .

٤٧. يراجع معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٢٩) .

٤٨. (٤ / الفجر) قرأ بإثبات الياء وصلاً نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، وبإثباتها في الحالين ابن كثير ويعقوب ، وبحذفها في الحالين الباقون. الإتحاف (٢ / ٦٠٧).

٤٩. (٩ / الفجر) .

٥٠. (٧٨ : ٨١ / الشعراء) وأثبت الياء وقفاً ووصلاً في المواضع الأربعة يعقوب فقط ، يراجع الإتحاف (٢ / ٣١٧) .

٥١. (١١ / الشمس) .

٥٢. معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٦٧) .

٥٣. (٦٧ / طه) .

٥٤. أورد الأستاذ الدكتور تمام حسان أمثلة على عدم حفظ الرتبة لإيفاء مطالب أسلوبية ، منها مراعاة الفاصلة . يراجع البيان في روائع القرآن (١ / ٧٣) .

٥٥. (١٠ ، ٦٦ ، ٦٧ / الأحزاب) .

٥٦. قرأ بإثبات الألف في الآيات الثلاث وصلاً ووقفاً نافع وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر ، وبإثباتها وقفاً فقط ابن كثير وحفص والكسائي وخلف ، وبحذفها في الحالين أبو عمرو وحمزة . الإتحاف (٢ / ٣٧١) ومع هذا أجمع القراء في قوله تعالى في السورة ذاتها : " وهو يهدي السبيل " (٤ / الأحزاب) على عدم المد .

٥٧. (١ / الشمس) .

٥٨. (١ / الضحى) .

٥٩. معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٦٦) ويراجع البرهان في علوم القرآن (١ /٦٠ : ٦٧) فقد عقد الزركشي باباً بعنوان " إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل " .

٦٠. الطراز (٣ / ٢٨) .

٦١. يراجع عولمة الصوت والدعم القرآني الخالد (ص / ١٩٨ : ١٩٩) .

٦٢. يراجع نظرية جديدة في موسيقى الشعر للدكتور علي يونس (ص / ١٧١) .

٦٣. يراجع علم الجمال لهوجارت (ص / ٤٦) .

٦٤. وردت الفتحة الطويلة في نهاية الفواصل في القرآن (١١٨٩) مرة .

٦٥. لا بد هنا من التفريق بين ما انتهى من الفواصل بياء صائتة وما انتهى بياء نصف صائتة ، فما انتهى بنصف الصائت ثلاث آيات فقط كلها في سورة طه مختتمة بكلمة سامري (٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥) .

٦٦. (٢٥ : ٣٢ / طه) ، (٢٤ / الفجر) ووردت الكسرة الطويلة نهاية فاصلة في (٢٣) موضعاً: (١٨) في طه ، و(٣) بالفجر وواحدة بالزمر وأخرى بالقيامة .

٦٧. (٣ / النساء ، ٩٢ / طه ، ٦٢ / النجم) ، وليس في القرآن غير هذه الثلاث ، كما أنه ليس في القرآن فاصلة منتهية بواو نصف صائتة .

٦٨. يمكن الرد على ذلك بجواز مجيء الألف روياً كما في المقصورات .

٦٩. كالدكتور السيد خضر الأستاذ بكلية المعلمين بالرياض في دراسة بعنوان : (الفواصل القرآنية دراسة بلاغية) .

٧٠. وذلك لأن الضحى والنهى مثلاً أصلهما : الضَحو والنَهي ، فحذف نصف الصائت الواو والياء للثقل ولطيل الصائت القصير قبلهما عوضاً عنهما . ولا يجوز القول بقلب الواو والياء ألفاً ؛ لأن ذلك يفضي إلى اجتماع صائتين : قصير وهو فتحة الحاء والهاء وطويل وهو الألف المنقلبة عن الواو والياء .

٧١. يراجع علم اللغة العام – الأصوات للدكتور كمال بشر (ص / ١٣٢) .

٧٢. سر صناعة الإعراب لابن جني (٢ / ١٠٩ : ١١١) .

٧٣. يراجع الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس (ص / ٦٧ : ٦٨) .

١٠٢. يستثنى من ذلك الآية (٢) فقد انتهت بالمقاطع (٢+١+١+٢+١+٢+١+٢) .

١٠٣. هذا المقطع فيه آخر صامتين متماثلان (مضعف) ، وهو مقطع يشبه المقطع (٢) في كونهما مغلقين لا مد فيهما ، والفرق بينهما مُدَّة رفع اللسان بالصامت الأخير فيهما ليتبين المضعف من غير المضعف .

١٠٤. القاف هنا يوافق الحرف قبل الأخير في الآية (٢٦) السابقة عليها ، والتي افتتحت بها تلك الوحدة المعنوية .

١٠٥. عدا الآية (١١) التي انتهت بالمقاطع (٢+١+١+٢) ، هذا في قراءة غير أبي بكر عن عاصم وحمزة والكسائي من السبعة ، أما في قراءة هؤلاء فإنها بلفظ (ناخرة) ، وهي في قراءتهم لا تخالف بقية المجموعة في الإيقاع .

١٠٦. عدا الآية (٣٣) التي انتهت بالمقطع (٢) والميم .

— (ثبت المصادر والمراجع) —

١. القرآن الكريم .

٢. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: أحمد محمد البنا، تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٣. إعجاز القرآن: الباقلاني ، تحقيق محمد علي عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩١م .

٤. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٥ ، ١٩٧٥م .

٥. البحر المحيط: أبو حيان ، دار التراث العربي، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٠م .

٦. البرهان في علوم القرآن: الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧١م .

٧. البيان في روائع القرآن: تمام حسان ، عالم الكتب ، ط٢ ، ٢٠٠٣م .

٨. الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، دار الريان للتراث .

٩. جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد ، حيدر آباد ، ١٣٤٦ هـ .

١٠.دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٩٠م .

١١.سر صناعة الإعراب: ابن جني ، تحقيق محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

١٢.سر الفصاحة: الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

١٣.الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، تحيق طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الأنجلو ، ٢٠٠٢م .

١٤.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

١٥.علم الأصوات: كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

١٦.علم الجمال: عبد الفتاح الحديدي ، مكتبة الأنجلو ، ط١ ، ١٩٨١م .

١٧.علم اللغة العام – الأصوات : كمال بشر ، دار المعارف ، ط٧ ، ١٩٨٠م .

١٨.علامة الصوت والنغم القرآني الخالد: محمد داوود ، مجلة ندوة الكلمة ، يصدرها قسم اللغة العربية آداب الإسماعيلية ، الإصدار الأول ، ٢٠١٠م .
١٩.العين: الخليل بن أحمد ، تحقيق عبد الله درويش ، بغداد ، ١٩٩٠م .
٢٠.فن البديع: عبد القادر حسين ، دار الشروق ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
٢١.فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن: ابن الجوزي ، تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨م .
٢٢.الكتاب: سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط١ ، ١٩٩١م .
٢٣.لسان العرب: ابن منظور ، دار المعارف ، مصر .
٢٤.مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
٢٥.المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد وآخرين ، ط٣ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٢٦.معاني القرآن: الفراء ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م .
٢٧.معجزات القرآن: شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة .
٢٨.مفتاح العلوم: السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، ٢٠٠٠م .
٢٩.مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي: علي يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب